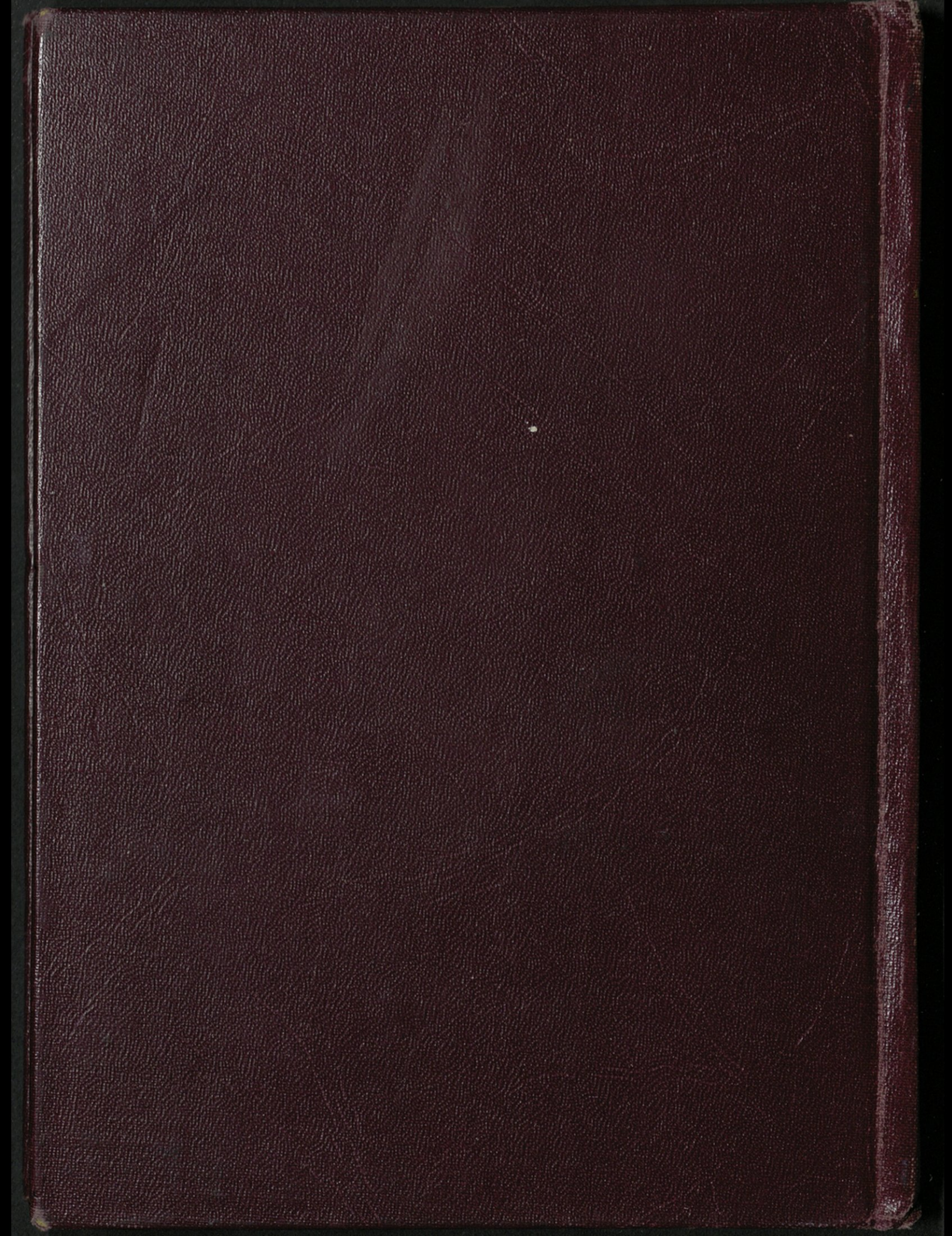
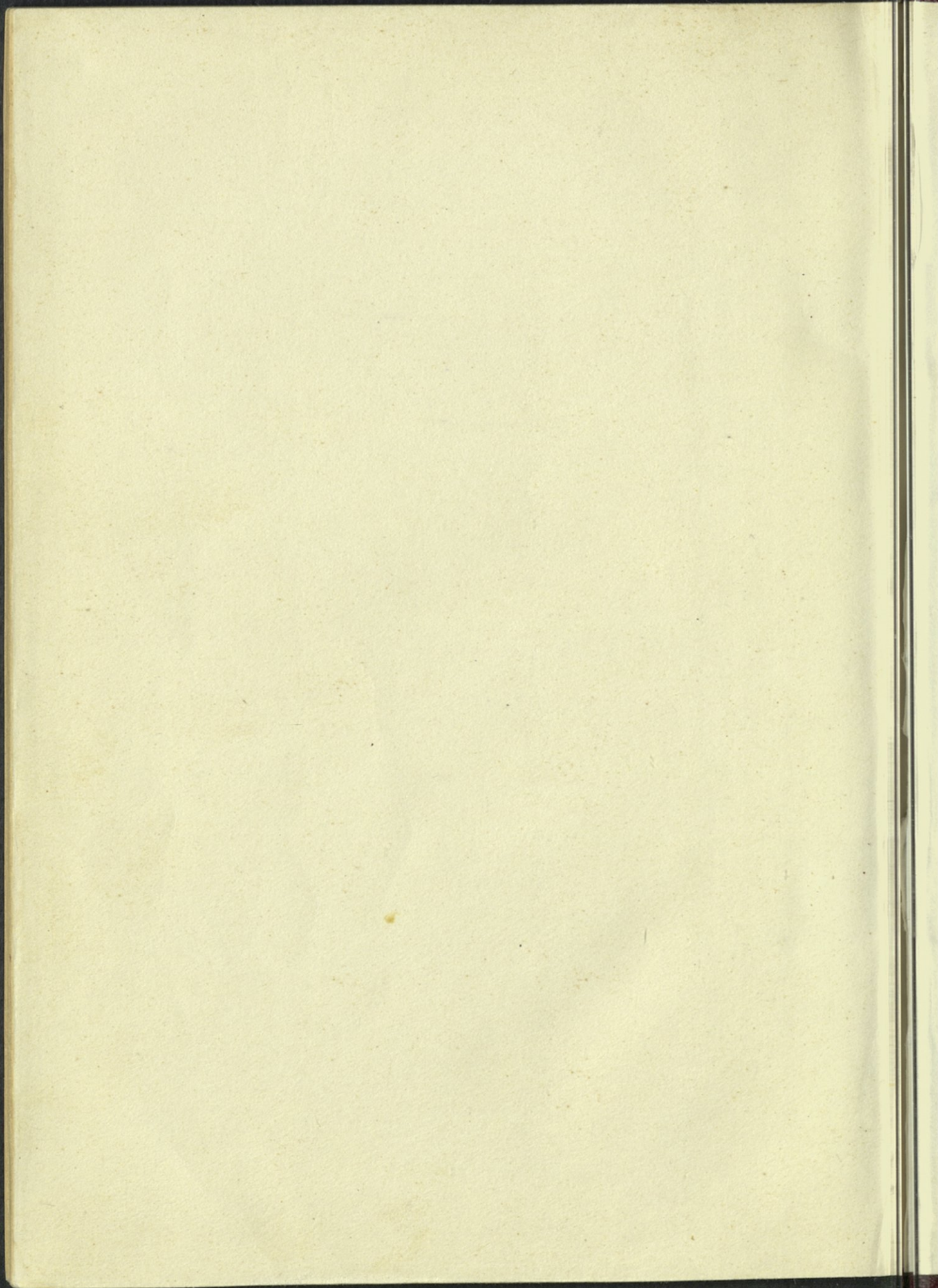
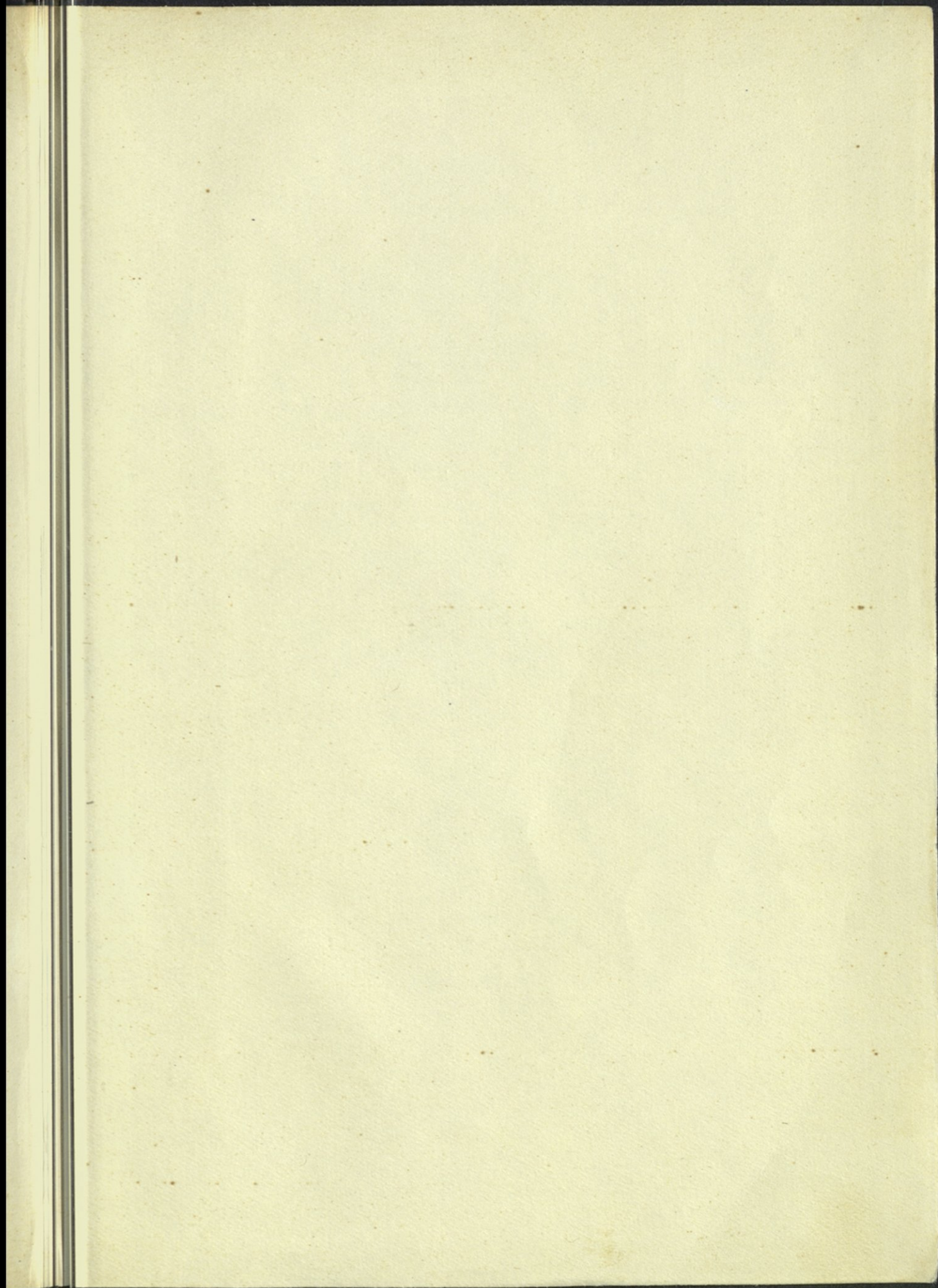


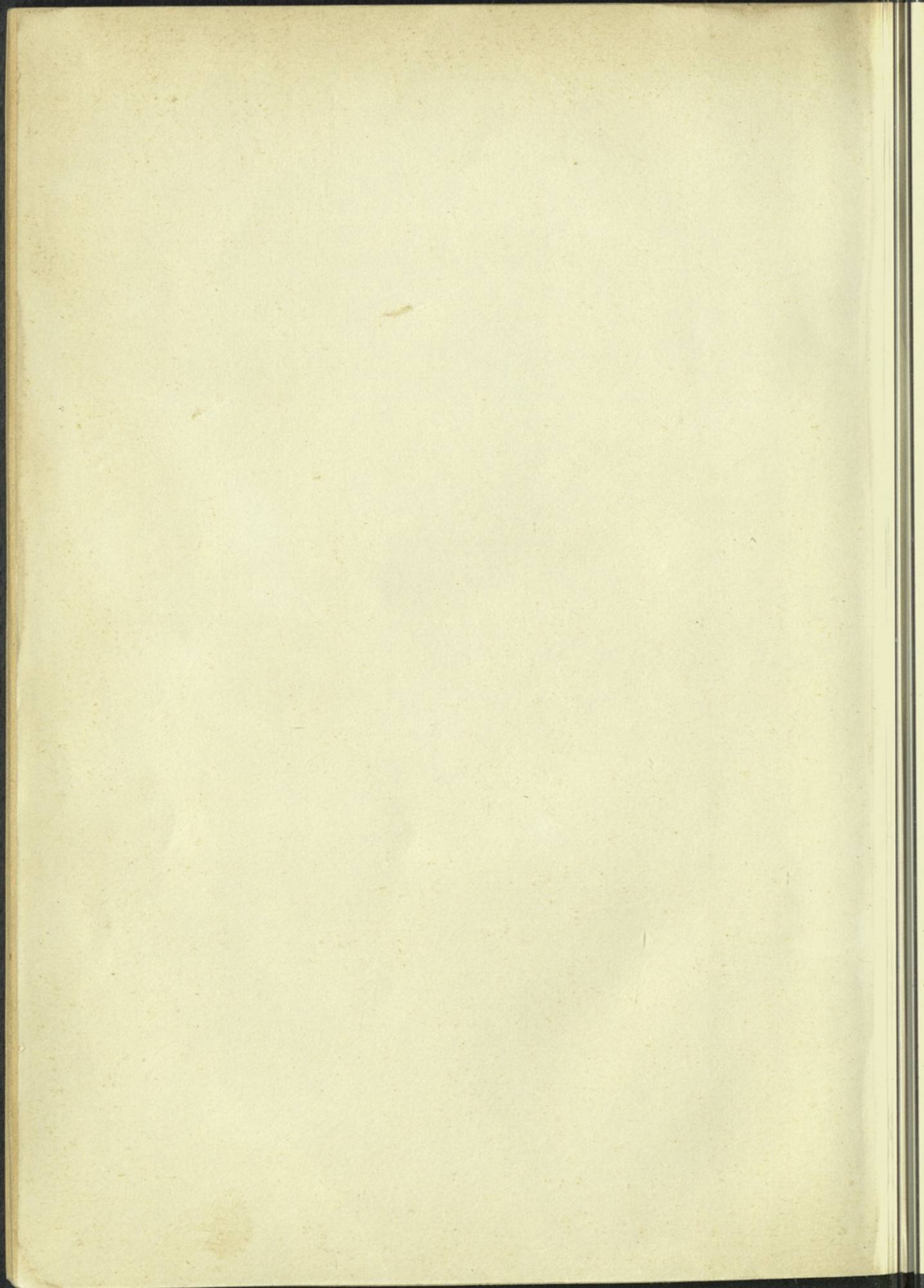


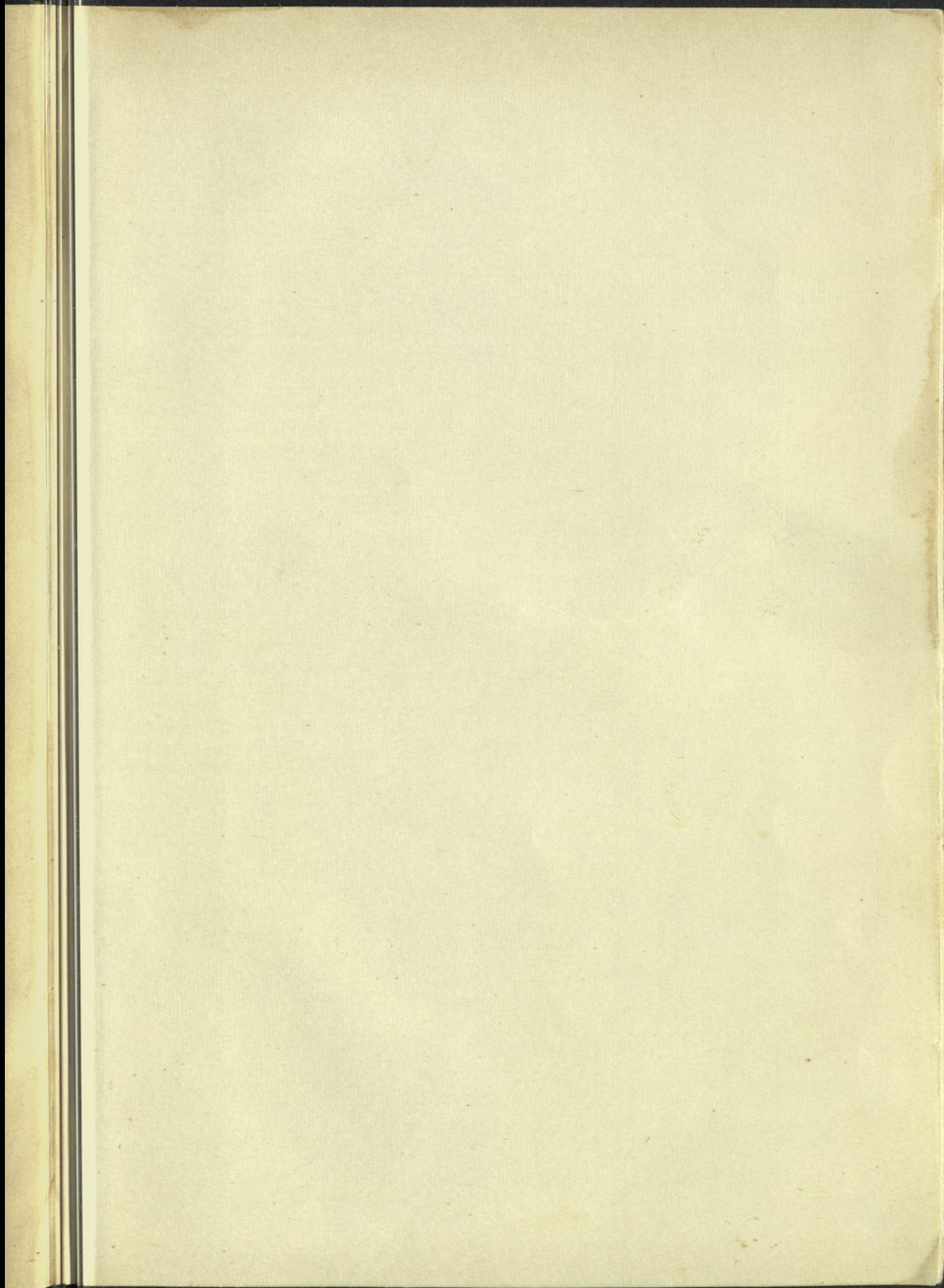
p. 85, 91, 93, 94

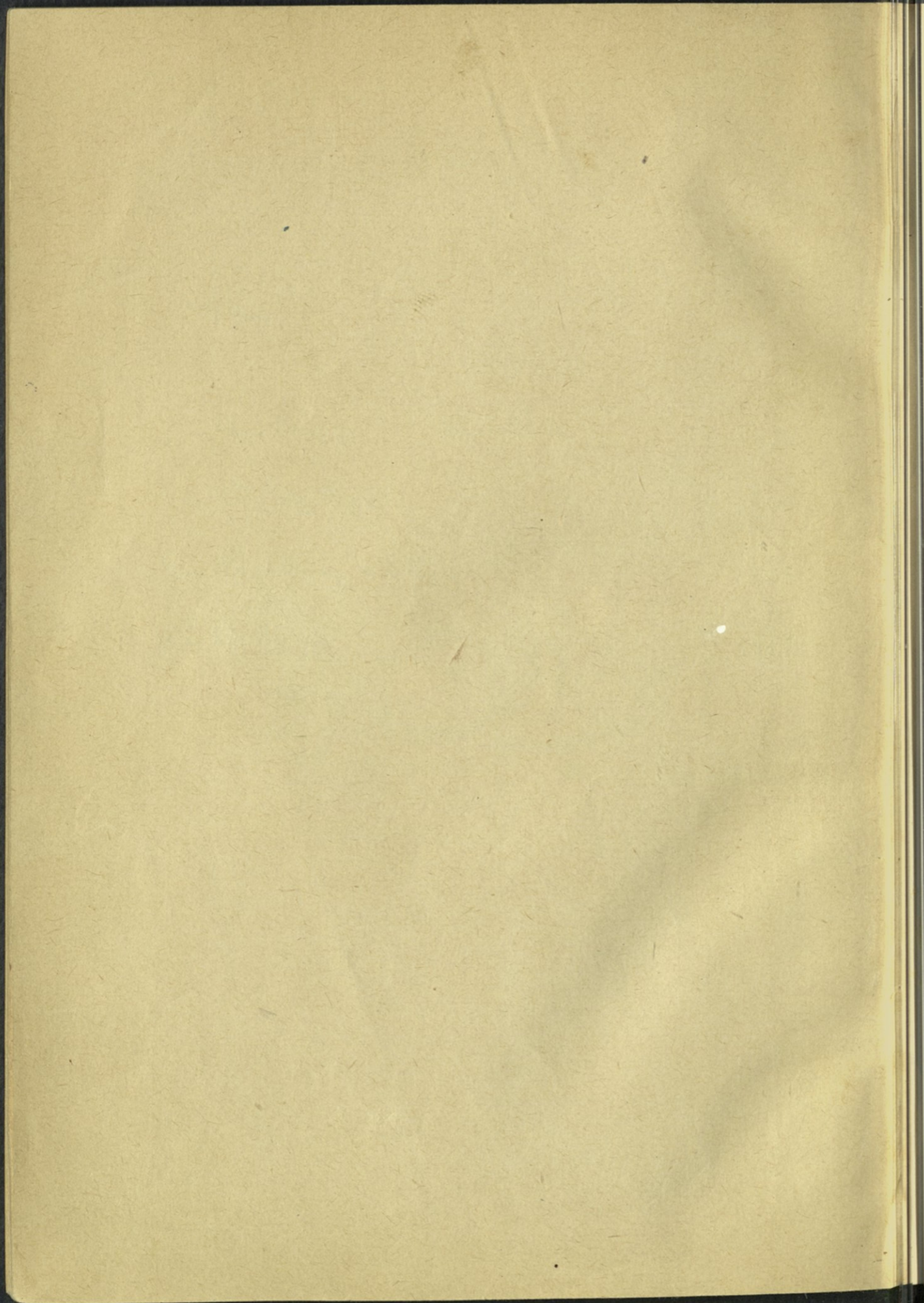












للمؤلف

- ١ - الحب العذري الطبعة الأولى ١٩٤٧
٢ - يحكى عن العرب ١٩٤٨
٣ - الأدب القصصي عند العرب ١٩٥٠
٤ - لغتي العربية الكتاب الأول ١٩٥٣

177.6
Su 94 k2 A
C.1

موسیٰ سلیمان

الحب العذری

الطبعة الأولى أيار ١٩٤٧

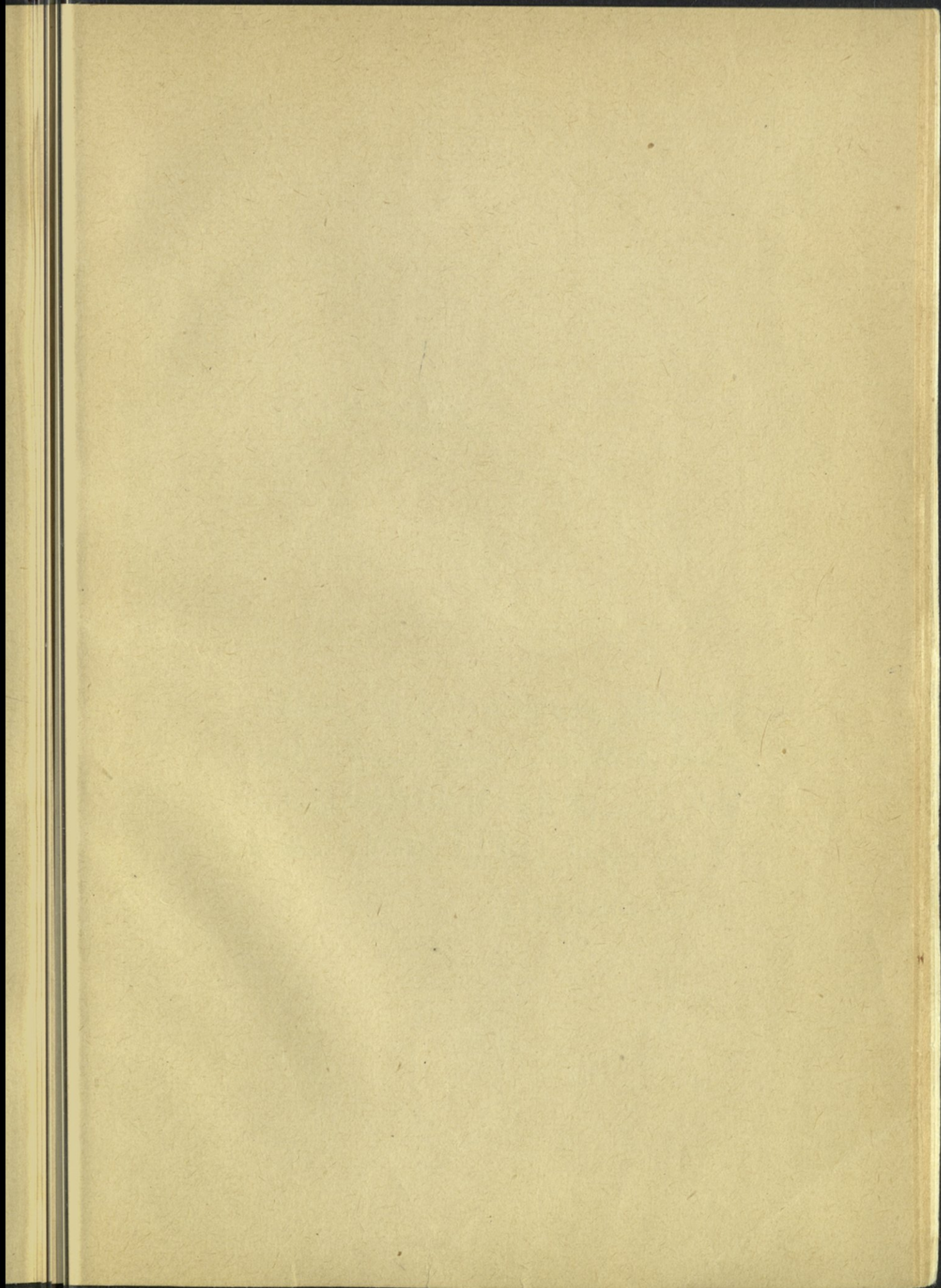
الطبعة الثانية أيار ١٩٥٤

موسیٰ سلیمان

الحب العذری

دار الشفاء

بیروت



1954 July, Beirut

لمحة تاريخية

في العشق عند الأمم القديمة

جاء في الأساطير اليونانية القديمة أن الآلهة غضبت على الجنس البشري لوقاحته ، فوقف المشتري خطيباً بينهم وقال : « أظنني وجدت طريقة لاضعاف الجنس البشري وتقليل وقاحته دون أن نشرع في هلاكهم . فأساق كل واحد منهم نصفين وبذا يضعفون جميعاً ... »

وهكذا كان ، وشقت الآلهة كل إنسان شقين كما يشق بعض الناس البيضة بشعرة ... وأخذ يسعى كل نصف للاتصال بنصفه الآخر فيلقي أحدهما بذراعيه حول النصف الآخر مؤملاً أن يعودا الى ما كانا عليه . وتشاورت الأنصاف بعضها مع بعض فقررت ألا تقوم بفعل ما دون النصف الآخر فماتوا جوعاً وضعفاً ... فأشقق المشتري عليهم وفكر في حيلة أخرى ، وهي التي ينتج منها النسل بعد انضمام الرجل للمرأة . ومن هذا التاريخ وجد الحب المتبادل بين أفراد النوع ، وهو الموفق بين طبائعهم الأصلية . وغاياته جعل الاثنين واحداً وتخفيف هول المصاب على الأنصاف المنشقة .

فكل واحد من الجنس البشري هو نصف ناقص لو اُحد كامل ،
وغاية كل منا هي البحث عن نصفه الآخر ١ .

بمثل هذه الحكايات الغريبة المستحبة كان يتغنى هوميروس ابو
الشعراء ، وبمثل هذه الأساطير السحرية تغذت مخيلة الشعب اليوناني
القديم ، فأجل الحب وعظمه وأحله من نفسه التحلل الرفيع حتى
وضعه في منزلة الآلهة .

قال هسيود : « إن الفوضى سادت الكون . ثم خلقت الأرض
فكانت اساساً ثابتاً لكل شيء ، وتلاها الحب في الخليقة ٢ .

وقال بارمنديس عن أصل الخلق : « إن الحب كان قبل غيره
من الآلهة .. وهو منبع أعظم المنافع لبني الانسان » ٣ .

ولم يجد سقراط رقيقاً لايجاد الاتصال بين الخلود وبين طبيعتنا
البشرية الفانية غير الحب ؛ لذلك طلب من بني البشر ان يكرموا
الحب ويشرفوه كما كان يُجلُّه هو .

أما افلاطون الحكيم فخص الحب بسفر قيم من كتبه الثمينة
هو كتاب « المائدة » . والمائدة نشيد عذب من أناشيد الروح
في تمجيد الحب وتقديسه .

وافلاطون هو القائل : ان الحب رب عظيم قادر ، وهو موضع
إعجاب الارباب والناس لدواع كثيرة ٥ .

(١) مائدة افلاطون تعريب جمعة ص : ٢٣٨ — ٢٣٩ وتجدر اثر هذه
الاسطورة في كتاب محاضرات الادباء للاصبهاني ص : ٢٦٣

(٢) مائدة افلاطون ص : ٢١٩ . (٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) مائدة افلاطون ص : ٢٦٢ . (٥) مائدة افلاطون ص : ٢١٩ .

وهكذا نرى ان الأغريق ، وهم بُناة المدينة القديمة ، عرفوا
ما للحب في الحياة من أهمية فعظموه وقام شعراؤهم بتمجيده
والتسبيح باسمه .

اما الفينيقيون فملأوا شواطئ بحرنا السخي بأساطيرهم الحبيبة الجميلة ،
فعبقت مغاور بيبلوس وكهوفها ، وصخور أفقا الشائعة بانبل واروع
اسطورة حبية سطرها التاريخ .. لقد حفظها التاريخ بين طياته
باحرف من نور وهو لا يزال يعيد تمثيلها امام اعيننا سنة بعد سنة
باحرف من الدّم هو دمُ بطلها الآله أدونيس :

« كالشجرة على ثمرتها . هكذا وجهي يظل وجهك »
ومثل الحلية النفيسة ، أخبئك في أحشائي
في الليل أعطيك غطاءك ، وفي النهار ردائك
لا تخف ، لا تخف أيها الصغير الذي ربيته !! » ١

هذه عشقوت ، إلهة الحب ، تغني لحبيبتها تموز ٢ بعد ان اجتازت
الحواجز السبعة ، على صوت قيثارة حبيبها الذي عاد معها الى السماء .
وتحدثتا ببلتيس ، وهي امرأة تحدثت من أم يونانية وأب فينيقي ،
وقد عاشت منذ أربعة وعشرين قرناً ، تحدثنا عن حبها المقدس ، ذلك
الحب الذي عاشت من اجله وماتت في سبيله . واذا ما ذكرت الأساطير
بلتيس فيجب أن تذكر معها هذه البلاد السمراء بلاد الشرق ، حيث
تسيطر الهيبة ويخيم السكون والرهبة ، بلتيس المرأة الشاعرة التي
تقطعت أوتار نايا ، يوم توقف قلبها عن الحب والخفقان .

(١) كتاب الاجيال - عبدالله غانم ص : ٢١

(٢) تموز اسم آخر لأدونيس

بلتيس ، التي غنّت العالم حبها بشعرٍ موسيقيٍّ أشجى من الحب
وأنقى من الجمال :

« تتدثر بعض النساء بالصوف الناصع البياض ،
ويلبس بعضهن الحرير والذهب ، ويتزين البعض الآخر بالازاهر
والاوراق الخضراء والعناقيد !!

أما أنا (بلتيس) فلا أطيق الحياة إلا عريانة !
فخذني يا حبيبي ، كما أنا ، بلا ثوب ، ولا حلى ولا نعال ،
دونك بلتيس وحدها ... وحدها ...
إنّ شعري لم يتعرف الى سواد غير سواده ،
وشفتي الحمراوين ، لا اثر للتصنع فيها !
إن ذوائبي تتهادى حولي ، حرّة ، مستديرة ، كأنها الريش الناعم !
فخذني يا حبيبي كما صنعتني امي ، في ليلة من ليالي الحب .
واذا ما نلت اعجابك ورضاك ، وانا من أنا ، فلا تنس ان
تهمس ذلك في أذني » . ١

ولنعد الى الزمن البعيد ، الى الفراعنة القدماء ، مع الكاتبة مدام
دي تنير ٢ فزاهها تصور الفتاة المصرية القديمة شبيهة بمغنية معبد أمون
التي ترقد موميأؤها في نعش من البلور في المتحف البريطاني ...
ها هي تناولها القيثارة ، وقد رسمت عليها مختلف الوجوه
وشتّى العصافير .

(١) Louÿs Pierre : Les Chansons de Bilitis pp. 86-87.

(٢) تاريخ الحب : مارسيل تنير ، ترجمة ابراهيم المصري ص : ١٠

ها هي تغني قصيدة من الشعر المصري القديم :
« يا صديقي الجميل ! أتمنى أن أعيش واياك كامرأتك .
أتمنى ان تضع ذراعك على ذراعي ، وتمضي وفق هواك ،
وعندئذ أشكو لقلبي المحبوس في صدرك ، كل آلامي .
لو أنك ، يا أخي الاكبر ، لا تزورني الليلة ، فلا بد ان أصبح
كسكان القبور .

أولست أنت الصحة والحياة ؟
أولست أنت حامل الفرح والصحة الى قلبي الذي يبحث عنك ؟
ان جماهير الاطيار تتلاقى على النهر ولكني انصرف عنها
ولا أفكر الا فيك ، يا غرامي ، لان قلبي معقود بقلبك انت ! »^١
ويجيبها الفتى المصري العاشق بقوله :
« أريد ان ارقد بججرتي لاني مريض ولأن الجيران قد وفدوا
لزيارتي .

آه لو ترافقهم أختي ^٢ لاستطاعت اذن رد الاطباء عني ! لانها
وحدها تعرف سر مرضي ^٣ .
آه عندما تأتي أختي
وبعين الحب أنظر اليها
فأني أضمرها الى قلبي الخافق

(١) تاريخ الحب : مارسيل دي تنير ص : ٩
(٢) كان العاشق في مصر القديمة ينادي معشوقته بيا أختي
(٣) تاريخ الحب ص : ٩ و ١٠

وبين ذراعي أطوقها لاني لها ولانها لي...

آه... ان عناقها الحنون

يشبع غرامي

وعطور بلاد « بونت »

تعطرنى بحلاوتها

ولما تطبق شفتيها على شفتي أثمل ولا احتاج الى خمر » ١



« يا الهي ، حبيبي كم يسرك ان تذهب معي ،

الى البركة لأستحم في حضرتك ،

حتى أستطيع ان اسمح لك بان ترى جمالي ،

في ردائي الكتاني الملكي ،

عندما يكون مبللاً... (ملتصقاً بالجسد) ،

وأسبح فوق سطح الماء معك ،

وأهبط الى قاع البركة ،

وأظهر قافلة نخوك ومعى سمكة حمراء ،

حيث ترقد بجمال على اصابعي .

تعال وانظر الى... ان حب حبيبتى على ذلك الجانب (الشاطىء)

وبيننا مجرى من الماء ،

ويرقد هناك على الشاطىء الرملي تمساح ،

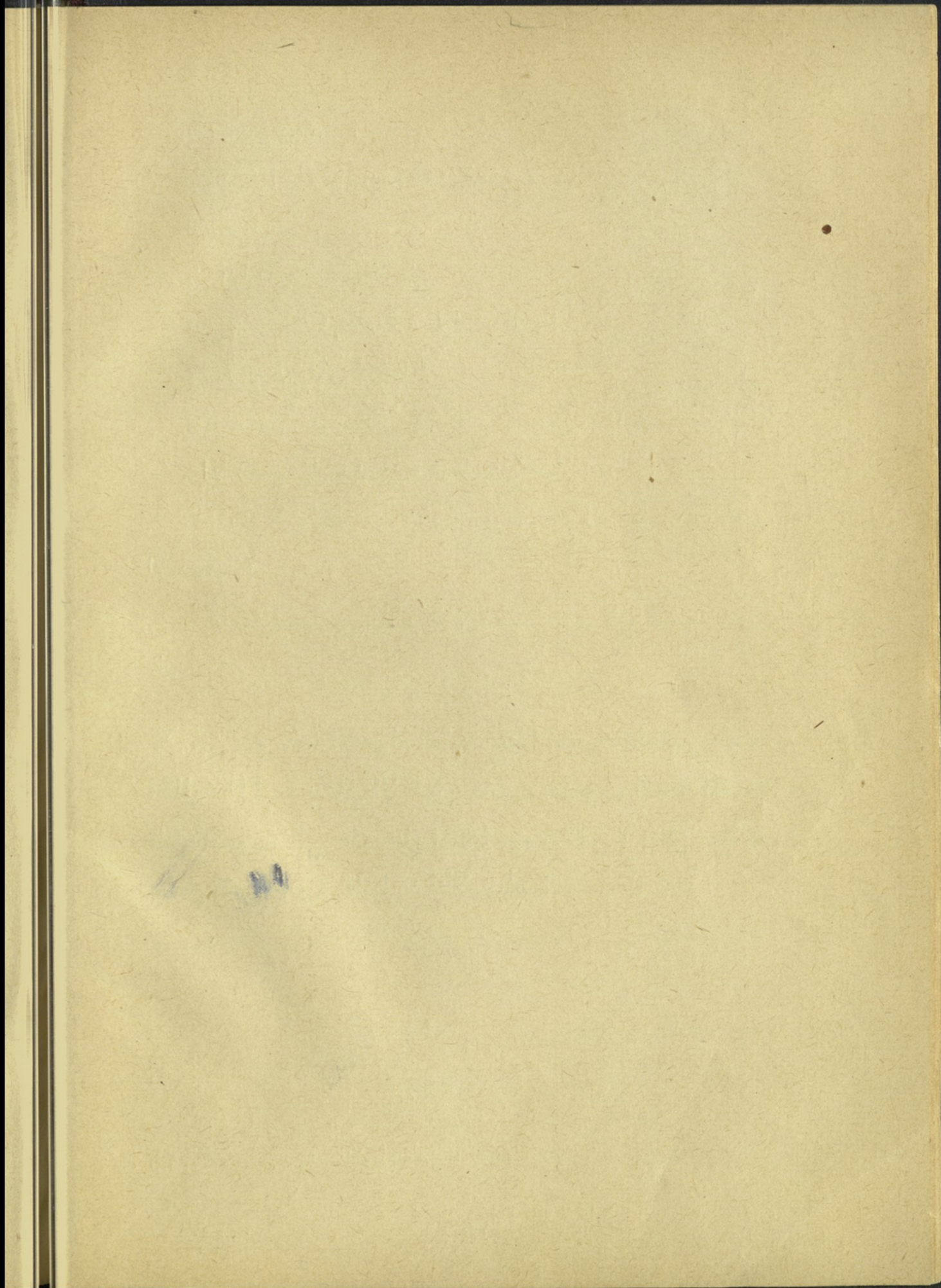
ولكن عندما اهبط الى الماء اطأ الفيضان ،

(١) محمد صابر : ادب الفراعنة ص : ١٦٨

بقلب جرىء على المياه ،
وتكون المياه كالياسة تحت قدمي ،
ان حبها يقوّيني ...
بل انها تسحر المياه لاجلي !
اني ارى حبيبتي قادمة ، فليفرح قلبي !
ولتفرح ذراعاي لاضمها !
وفي حضرتها يفرح قلبي في مكانه ... مثل الابدية
واذا ضممتها الى صدري وفتحت ذراعيها
فأكون كمن عطر من عطور « بونت » (اي عطرتة برائحتها
الزكية)

واذا ما قبلتها من شفتيها ، وهما مفتوحتان فاني لسعيد بدون
خمر ... » ١

❧ ففي مثل هذه الاجواء العابقة بشذا الحب ، المختمرة بانفاس
الجمال ، المشبعة بأغاني الآلهة ، عاشت الشعوب القديمة المتعددة ،
تلك الشعوب التي حملت على أكفها روح الفن ، وعلى جبينها
مشعل النور ، وفي قلبها دنيا الاساطير !..



عَصَاة السِّحْرِ

« اللهم ارحم العاشقين واعطف
عليهم قلوب المعشوقين »

ابو السائب المخزومي

العشق عند العرب

أما العرب فلم يكونوا أقلّ من هذه الشعوب فهماً للحب ومزاياه
وشغفاً به وعلوقاً بشراكه وإن قصّروا ، في الزمن الأموي وهو
الذي يعيننا في كتابنا هذا ، عن تعليمه وتحليله وفهم فلسفته . لقد التّفوا
الكتب ونظموا الدواوين الشعرية الغزليّة تمجيداً للحب وحثاً
للاحداث على العشق . فهناك عشرات المؤلفين في هذا الفنّ من اهل
العصر الاسلامي « مثل عيسى بن داب ، والشرقي بن القطامي ، وهشام
الكلبي ، والهيثم بن عدي » . وهناك عشرات ، بل مئات الكتب
الحبيّة التي ألّفت في مختلف العصور . « فقوّت القلوب في أخبار الحب
والمحبوب ، وديوان العاشقين لابن الأعرابي » ، وامتزاج الأرواح
للتميمي ، وتسريح النواظر ، والنزهة ، وروضة القلوب ، والروض
النضير ، وعجيبُ الاتفاق في تطابق احوال العشّاق ، ومنازلُ
الأحباب ، والزهرة لابن داود الأصفهاني ، وتزيين الاسواق بتفصيل

(١) فهرست ابن النديم ص : ٤٢٥ ، المطبعة الرحمانية ، مصر .

اشواق العشاق لابن داود الانطاكي ، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة
 المغربي ، ومصارع العشاق للسراج ، واخبار النساء لابن الجوزي ،
 وكتاب عروة وعفراء ، وكتاب جميل وبثينة ، وكتاب كثير عزّة ،
 وقيس ولبنى ، ومجنون ليلى ، وكتاب وضاح اليمن وأمّ البنين ،
 وكتاب عمر بن ابي ربيعة ، وكتاب عاشق الكفّ وعاشق الصورة^١ ،
 كلها اسماء لكتب حبّية مختلفة تجمل اليّنا أخبار العشاق والمغرمين ،
 وفيها الطريف المستحبّ والسخيف الموضوع . وقد وصل اليّنا بعضها
 والبعض الآخر لم تقع عليه عين . وهذه المصنّفات ، وإن كانت غير
 مبوبة تبويباً علمياً ، او منظّمة تنظيمياً عقلياً ، كما هو الحال في اكثر
 الكتب العربية القديمة ، فهي جامعة لمعظم الاخبار الحبّية المسموعة
 عن العرب وعن سائر الامم ، لا يستطيع القارئ بعد الاطلاع
 عليها او على بعضها إلا ان يدهش لغرابتها وطارفتها كما سنرى .

والذي يدل دلالة صريحة على تقدير العرب لفضائل الحب الروحية
 ومزاياه العالية اهتمام الرجال العظام منهم بالمحبين المتيّمين وشفقتهم على
 العشاق وحثّ بعض ادبائهم الاحداث على العشق . سأل ذو الرئاستين
 أحداً من أحداث اهل : هل فيكم عاشق ؟ فقالوا لا ، فقال اعشقوا
 فان العشق يطلق اللسان العي ، ويفتح حيلة البليد والمخبّل ، ويبعث
 على التنظف وتحسن اللباس وتطيب المطعم ، ويدعو الى الحركة

(١) الفهرست ص: ٢٥٥ ، ٢٦٤ وما لا يوجد من هذه الاسماء في الفهرست
 موجود هنا وهناك في بعض المصادر كترتين الاسواق وديوان الصبابة .

والذكاء وتشرف المهمة ١ . »

والروايات كثيرة عن رجال العرب العظام الذين اشفقوا على العشاق . منهم المهدي وقد غي اليه يوماً ان غلاماً شاباً له ذؤابتان كأنه قضيب فضة ، موجود في خلوة مع جارية في إحدى غرف القصر . ولما احضر الشاب بين يدي الخليفة ، فهم انه كان يحب الجارية قبل بيعها الى امير المؤمنين . فجاءها معرضاً حياته للخطر لعله يحظى برؤيتها . وما كاد المهدي يسمع كلامه حتى اسر بضرب عنقه واحضار سيف ونطع . فلما أتى بذلك وأجلس الغلام في النطع تذكر حبيبته وهاجت قريحته فراح يتغنى بها :

ولقد ذكرتك والذي انا عبده
والسيف بين ذؤابتي مسلول

فأطرق المهدي واغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : يا غلام إئتني بأزار ، فأتي به فقال : الففها به جميعاً ... واخرجها عن قصري . ففعل ذلك ٢ .

وروى ابو محمد بن حزم قال : « قال رجل لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . يا امير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها . فقال عمر ذاك مما لا يملك ٣ . »

(١) مصارع العشاق للسراج ص : ٢٣٠

(٢) مصارع العشاق ص : ٦٨

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن الجوزية ص : ١٥٦

وروى الاصمعي عن عمر بن الخطاب ايضاً قوله : « لو ادر كنت
عفرء وعروة لجمعتُ بينهما ١ . »

وذكر التميمي في كتابه المسمى بامتزاج النفوس « أن معاوية
ابن أبي سفيان اشترى جارية من البحرين فأعجب بها اعجاباً شديداً
فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها :

وفارقه كالغصن يهتز في الثرى
طريراً وسيماً بعد ما طرَّ شاربهُ

فسألها فقالت : هو ابن عمي . فردّها اليه وفي قلبه منها ! ٢ . »

وجاءت جاريةٌ الى عثمان بن عفّان تستعدي على رجل من
الانصار لأنها كلفت بابن اخيه فيخير الخليفة الانصاري قائلاً : « إما
أن تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي . فقال : أشهدك يا امير
المؤمنين أنها له ٣ . »

وكذلك روى أن ابا بكر الصديق بعث الى مولى إحدى
الجواري المغرمات فاشتراها منه وبعث بها الى حبيبها وقال : « هؤلاء
فتن الرجال وكم قد مات بهن من كريم وعطب عليهن من سليم ٤ »
حتى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الصالح ، كان يصل بين القلوب

(١) كتاب اخبار النساء لابن قيم الجوزية ص : ٣٣

(٢) روضة المحبين ص : ٤٠٨

(٣) روضة المحبين ص : ٤٠٧

(٤) روضة المحبين ص : ٤٠٧

المتحابة عندما يتصل به خبر احد العشاق الذين لا تساعدهم الظروف
على الاجتماع بحبيباتهم^١ .»

وبلغ من مجون الرواة أن رووا الحكايات الجميلة عن المحبين
وعشيقاتهم وهم في اقدس مكان من مشاعر الله . قال الزبير ابن بكار
عن مصعب الزبيري عن عبدالرحمن بن ابي الحسن : « خرج ابو حازم
يرمي الجمار ومعه قوم متعبدون ، وهو يكلمهم ويحدثهم ويقص
عليهم . فبينما هو يمشي وهم معه اذ نظر الى فتاة مستورة بخمارها ترمي
الناس بطرّفها يمينه ويسرة ، وقد شغلت الناس وهم ينظرون اليها
مبهوتين ، وقد خبط بعضهم بعضاً في الطريق ، فرآها ابو حازم فقال :
يا هذه اتقي الله فانك في مشعر من مشاعر الله عظيم ، وقد فتن
الناس فاضري بخمارك على جيبك فان الله عز وجل يقول : (وليضربن
بخمرهن على جيوبهن^٢) فأقبلت تضحك من كلامه وقالت : اني والله :

من اللائي لم يحججن ببعين حسبة

ولكن ليقتلن البريء المغفلا^٣

فأقبل ابو حازم على اصحابه وقال : « تعالوا ندعو الله ان لا
يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار . فجعل يدعو واصحابه يؤمنون^٤ .»

(١) مصارع العشاق ص : ٦٨

(٢) سورة النور ، الآية ٣١

(٣) البيت للعرجي

(٤) روضة المحبين ص : ٢٤١-٢٤٢ وفي الاغاني وتحفة العروس : قال وبلغ
ذلك سعيد بن المسيب فقال : اما لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها :
أغرني قبحك الله ولكنه ظرف عباد الحجاز

وكانت الصلاة رحمةً واجبةً على الوجه الجميل في نظر بعضهم .
 قال يحيى بن سفيان : « رأيتُ بمصر جاريةً بيعت بألف دينار فما
 رأيتُ وجهاً قط أحسن من وجهها صلى الله عليها ! » فقال له أحدهم :
 « يا أبا زكريا مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك ؟ ! » فقال : « وما
 تنكرُ عليَّ من ذلك ؟ صلى الله عليها وعلى كل مبيعٍ يا ابن أخي !
 الصلاة رحمةٌ ١ . »

وروي عن الأصمعي أنه قال : « بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا
 بجارية « متعلقة » باستار الكعبة وهي تقول :

لن يقبل الله من معشوقةٍ عملاً
 يوماً ووامقها غضبانٌ مهجورٌ
 وكيف يأجرها في قتل عاشقها
 لكن عاشقها في ذاك مأجورٌ

فقلت لها : يرحمك الله أفى مثل هذا الموضع تنشدين هذا ؟ فقالت
 اليك عني يا عراقى لأرهقنك . فقلت لها وما الحب ؟ فقالت : هيهات
 جلّ والله عن أن يُحصى وخفي عن أن يُرى . فهو كامنٌ ككمون
 النار في حجرها ، إن قدحتهُ ورى وإن تركته تواري . ثم
 انشأت تقول :

إنسٌ غرائر ما هممن بريبةٍ
 كظباء مكة صيدهن حرامٌ

(١) أخبار النساء للجوزي ص : ٨

يُحَسِّنُ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ فَوَاسِقًا

وَيَصُدُّ هُنَّ عَنْ الْحَنَّا الْإِسْلَامَ^١

وكان أبو السائب الخزومي أحد القراء والنقهاء فرؤي متعلقاً
بأستار الكعبة وهو يقول :

« اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين . فقيل له
في ذلك فقال : الدعاء لهم افضل من عمرة في الجعرانة^٢ »

ومن أجمل ما يروى عن الحسن البصري وهو من هو في العلم
والدين ان امرأة جميلة دخلت عليه فقالت : « يا ابا سعيد أيجل
للرجال ان يتزوجوا على النساء ؟ قال نعم . قالت وعلى مثلي ؟ ثم
سفرت عن وجهه لم يُرَ مثله حسناً وقالت : يا ابا سعيد لا تفتوا
الرجال بهذا . ثم وائت . فقال الحسن : ما على رجل كانت هذه في
بيته ما فاته من الدنيا^٣ . »

ورؤوا ان الحارث بن خالد الخزومي ، والي مكة لعبد الملك
ابن مروان ، استهم بحب عائشة بنت طلحة ، وكانت ذات جمال
ومكانة وشرف . وحجبت عام ولايته فأرسلت اليه تسأله ان يؤخر
الصلاة حتى تفرغ من طوافها ففعل . فأنكر اهل الموسم ذلك من
فعله واعظموه ، فعزله عبد الملك وكتب اليه يؤنبه فيما فعل ، فقال : ما

(١) الزهرة لابن داود الاصفهاني ص : ٦٧ - ٦٨

(٢) ديوان الصبابة ج ١ ص : ٣٠ وروضة المحبين ص : ١٧٤

(٣) روضة المحبين ص : ٢٤٢

أَهْوَنَ وَاللَّهُ غَضَبُهُ إِذَا رَضِيَتْ ! وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تَفْرَغْ مِنْ طَوَافِهَا إِلَى
الَّيْلِ لَأَخَّرْتُ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّيْلِ ١ !

وَلَمْ يَقِفِ الرَّوَاةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ فِي رَوَايَاتِهِمْ فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ
الْعَرَبِيَّ الْكَرِيمَ حَدَّثَ أَنَّ مَنْ مَاتَ مُحِبًّا عَاشِقًا فَالشَّهَادَةُ أَجْرُهُ . « مَنْ
عَشَقَ فَظْفَرَ ، فَعَفَّ فَمَاتَ ، مَاتَ شَهِيدًا ٢ . »

« وَلَقَدْ كُنَّا رَوَيْنَا	عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ
عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ	أَنَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ
قَالَ : مَنْ مَاتَ مُحِبًّا	فَلَهُ أَجْرُ الشَّهَادَةِ ٣ »

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : « قَالَ سُؤْيُدُ : حَدَّثَنَا بْنُ سَعِيدٍ
قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَسْهَرٍ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْقَتَاتِ عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ عَشَقَ وَكَتَمَ وَعَفَّ
وَصَبَرَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَادْخَلَهُ الْجَنَّةَ ٤ » وَكَانَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ يُحِبُّ الْجَمَالَ
وَيَقْدِرُ الْحَسْنَ إِنَّمَا كَانَ . قَالَ :

« اَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ عِنْدَ حَسَنِ الْوَجْهِ ٥ »

وَقَالَ أَيْضًا : « إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَلْيَجْمَلَنَّ نَفْسَهُ فَإِنَّ

(١) الْأَغَانِي بُولَاق ج ٣ : ١٠٣

(٢) مِصَارِعُ الْعِشَاق ص : ٤

(٣) مِصَارِعُ الْعِشَاق ص : ٢٠

(٤) مِصَارِعُ ص : ٤

(٥) دِيَوَانُ الصَّبَابَةِ ص : ٣٩ وَيُرْوَى اَطْلُبُوا الْخَيْرَ ... رَاجِعْ فِي رَوْضَةِ

الْمُحِبِّينَ ص : ١٣٥ تَعْلِيقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ . وَرِسَالَةُ ابْنِ سِينَا فِي الْعِشْقِ ص : ١٦

الله جميل يحب الجمال ١ . »

وتحدث عقبه بن عامر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله ليعجب من شاب لا صبوة له ٢ » وعن ابن عباس انه قال :
قال رسول الله (ص) : « النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر والنظر
الى الوجه القبيح يورث الفلج ٣ . »

وقيل إن عائشة حدثت أن النبي كان يقبلها وهو صائم . وسئلت
أم سلمة في ذلك فلم تنكر بل قالت : إن رسول الله (ص) كان
إذا رأى عائشة لم يتألك عنها . أما أنا فلا ٤ . وقال بيان عن الشعبي
إن عائشة كانت أحب أمهات المؤمنين إلى قلب النبي . وفرض عمر بن
الخطاب لأمهات المؤمنين عشرة آلاف عشرة آلاف وزاد عائشة الفين وقال :
إنها حبيبة رسول الله !! وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول :
حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول رب العالمين المبرأة من
فوق سبع سموات ٥ . فهذا الود والحنين من النبي لعائشة وهذه
القبولات الزكية تحدث عنها بفخر وكبرياء هي التي تجعل من النبي
العربي الكريم انساناً صحيحاً يشعر بشعور الناس ويأنس قلبه وعينه
إلى الوجه الوسيم الجميل كما يأنس كل انسان مرهف الشعور ، دقيق
العواطف . والله ما أروع قوله وأنبل هذا التقرب منه إلى أبناء البشر

(١) ديوان الصبابة ص : ٣٨ (٢) تزيين الاسواق ١ : ٧ وروضة المحبين

ص : ٣٤٧ رواه احمد بن حنبل في مسنده (٣) اخبار النساء ص : ٨ (٤) روضة

المحبين ص : ١٨٦ (٥) روضة المحبين ص : ١٨٧

عندما يقول : « جُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ، وَحُبِّ إِلَى النِّسَاءِ
وَالطَّيِّبِ . الْجَائِعُ يَشْبَعُ وَالظَّمْآنُ يُرَوَّى ، وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنْ حُبِّ
الصَّلَاةِ وَالنِّسَاءِ ١ . »

وهكذا نرى ان المرأة العربية تمتعت في هذا العصر بحرية اجتماعية
واسعة ، وفرضت بعض النساء نفوسهن على مجتمعهن وتألفت في الجو
الأدبي الاجتماعي أسماء نسائية كثيرة كسكينة بنت الحسين ،
وفاطمة بنت عبد الملك ، وعاتكة بنت يزيد ، وعائشة بنت طلحة ،
وام البين اخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك
وغيرهن كثيرات . وبلغت الحرية بسكينة ان احلفت زوجها حين
تزوجته ، ان لا يمنعها سفرأ ولا مدخلأ ولا مخرجأ ٢ وقدمت مكتة
مرة فأقأها الغريض ومعبد فغنياها :

عوجي علينا ربة الهودج
إنك إن لم تفعلي تخرجي

فقلت والله ما لكما مثل إلا الجديين الحار والبارد ، لا يدرى
أيهما أطيب ٣ . وكانت جميلة ولها ابنة لا تقل عنها جمالاً قالت فيها
بعد ان البستها درأ كثيراً : والله ما البستها إياه إلا لتفضحه . وكانت

(١) روضة المحبين ص: ٢٢٠ وراجع ايضاً فتح الله حمزة : حقوق المرأة
في الاسلام ص: ٢٢ و ٢٤ وراجع ايضاً الادهمي : مرآة النساء ص: ٧

(٢) الاغانى بولاق ١٧ : ٩٣

(٣) عيون الاخبار ٤ : ٩٠

خبيرة بأحوال العشاق ، عليمّة بما يكتنون وما يشعرون . ذكروا
انها ركبت في جواريا فمرت بعروة بن الليثي وهو يغني فقالت
لجواريا: من الشيخ ؟ قالوا عروة ، فعدلت نحوه ثم قالت: يا ابا التمام
انت ترعم انك لم تعشق قط وانت تقول :

قالت وابشها وجدي فبحت به
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألت تبصر من حولي ؟ فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصري

كل من ترى حولي من جواري أحرار ان كان خرج هذا الكلام
من قلب سليم قط ١ .

ولأمّ البنين قصص كثيرة في ميادين الحب والجرأة الأدبية.

قالت مرة لعزة صاحبة كثير : « اخبريني عن قول كثير : [

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة مطول معني غريمها

اخبريني ما ذلك الدين ؟ قالت: وعدته قبلة فخرجت منها، قالت

أم البنين: أنجزها وعليّ إثما ٢ »

ولبعض الخلفاء وغيرهم من أشراف العرب الأولين وأدبائهم اقوال

« ١ » الزهرة ص: ٣١٤-٣١٥ ، راجع ايضاً قصص العرب ج ٢ : ص: ٢٥٣

تجد يمتين آخرين .

(٢) عيون الاخبار ج ٤ : ٩٢

كثيرة في الجمال وانواعه تبين لنا، فضلاً عن اهتمامهم الشديد بالمرأة، كيف كانوا ينظرون الى الحسن وكيف كانوا يقدّرونه... كانت عائشة تقول: البياض نصف الحسن. كذلك قال عمر بن الخطاب: اذا تمّ بياض المرأة في حسن شعرها فقد تمّ حسنّها^١. وكان علي بن ابي طالب يضع الصبابة أولى خصائص بني قومه ويفخر بها^٢. وكان ابن الاعرابي يقول: الخلاوة في العينين والجمال في الانف، والملاحاة في الفم^٣! ولهم نظرات في المرأة وجمالها لا تخلو من الصواب والطرافة. من ذلك رأى للحجاج: لا يحسن نحر المرأة، حتى يعظم ثدياها^٤. وكان علي يقول: لا تحسن المرأة حتى تروّي الرضيع وتدفع الضجيع^٥. اما قوله في السمراء ففيه إعجاب ظاهر بجمال السمراوات وسحرهن الاخاذ قال: من تروّج سمراء فطلقها فعليّ مهرها^٦.

وبلغ من تقدير احد المعلمين للجمال أنه كان يُقعد ابناء المياسير والحسان الوجوه في الظل ويقعد الآخرين في الشمس ويقول: يا اهل الجنة انزقوا في وجوه اهل النار^٧! ورووا ان كثيرين من علماء الحديث والمفتين ورجال الدين كالشافعي وأنس بن مالك وعمر بن سفيان وابي حنيفة وغيرهم حللوا للعشاق ما لم يحلل لغيرهم. فالنظر الى المرأة المخطوبة من قبل خطيبها واجب. ألم يقل النبي الكريم

(١) روضة المحبين ص: ٢٥٨-٢٥٩ (٢) عيون الاخبار ٤: ٢٥

(٣) عيون الاخبار ٤: ٢٧ (٤) عيون الاخبار ٤: ٣٠

(٥) نفس المصدر والصفحة (٦) نفس المصدر ص ٤١

(٧) نفس المصدر ص: ٣٩

لخاطب جاء يستشير في نكاح خطيبته وكان لم يرها بعد : « اذهب
فانظر اليها »؟ وقبله العاشق لم يحرمها الله . ألم يفت بذلك كثيرون؟
قال ابن سفيان بن مَرْخِيَّة :

إنا سألنا مالكا وقرينه
ليث بن سعد عن لثام الوامق
أيجوز؟ قالوا والذي خلق الوري
ما حرّم الرحمن قبله عاشق^٢

وروي عن عبد الله بن عمر انه قال : خرج سهمي يوم جلولاء
جارية كأن عنقها ابريق فضة فما ملكت نفسي ان قمت اليها فقبلتها .
فهذه الاحاديث ، ومثلها كثير ، تروى عن النبي الكريم وهذه
الحكايات الأدبية المشحونة بها كتب الأدب العربي القديم عن الخلفاء
والامراء العظام والعلماء ورجال الدين شجعت العشاق والمغرمين على
التماذي في حبهم وعشقهم فكانت لنا الحكايات الغريبة المستبعدة
الوقوع ، وكان لنا هذا الفن القصصي الغزلي الذي عرف في صدر
الاسلام ، وكانت لنا هذه النهضة الشعرية الغزلية التي حمل لواءها عمر
ابن ابي ربيعة من ناحية وجميل بن معمر من ناحية اخرى .
وأطلق الرواة لأنفسهم العنان فراحوا يجمعون بين العشاق في
الاحلام ويحيكون حولهم القصص الخرافية ، الفكاهية .

(١) روضة المحبين ص : ١٢٣

(٢) روضة المحبين ص : ١٢٥

فهناك مغنية جميلة ترمي بنفسها في نهر دجلة من اجل عشيقها فيلحق
بها ثم يتعانقان في الماء لينغرقا معاً^١.

وهناك رجل من بني أسد يعشق جارية بالكوفة فيتعاضم امره
حتى يموت بحبها فيضع الناس كتاباً في ذلك^٢.

وهناك من يلقبُ أحدَ العشاق بسيد العاشقين ويدعو الناس
لينحروا على قبره سبعين نخرة كما كبر النبي على عمه حمزة سبعين
تكبيرة^٣.

وهناك الحبيبة المولمة التي يُقطع لها قطعاً قطعاً وهي لا تشعر
لأن الطيب كان يذكر امامها اسم الحبيب^٤ !

وهناك المرأة التي تنذر الصمت الأبكم ويلازمها الخرس مدة
حياتها بعد موت زوجها لانه كان معجباً بنغمتها فتوفي فآلت الـ
تتكلم بعده ابداً^٥.

ويتقدم احدُ الناس من عالم جليل يشكو له ابنه لأنه قد عشق
فيجيبه العالم : « الحمد لله . الآن رقت حواشيه^٦ » . وقيل لآخر
مثل ذلك فقال : « اذا عشق لطف^٧ » .

وتماذى العشاق في عشقهم فلم يرَ الحبيب حرجاً او اثماً في أن
يتذلل امام حبيبه بل اخذوا يتفاخرون بذلك . قال ابو زهير المديني :

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) مصارع العشاق ص : ٧٢ | (٢) مصارع ص : ١٧٤ |
| (٣) مصارع ص : ١٩٤ | (٤) مصارع ص : ٢٧ |
| (٥) اخبار النساء ص : ٦٨ | (٦) ديوان الصبابة ص : ٢٤ |
| (٧) ديوان الصبابة ص : ٢٤ | |

العشق هو الجنون وهو داء اهل الظرف ١ . واخذوا يعزّون
 العشاق الذين لا تحبهم حبيباتهم بمثل هذه الحكاية الطريفة : قال
 بعضهم : « وجدت بمكة شاباً مصفراً ناحلاً فسألته عن حاله فقال :
 بُليت بوصيفة فذهب رأس مالي بشمنها ونفقتها وليست تحبني . فقلت
 استمتع بها وعدّها بعض نعم الدنيا والآخرة . هل تحبّك العافية ؟
 هل تحبّك الصحة ؟ هل يحبّك المال ؟ هل تحبّك الجنة ؟ فقال لا . فقلت
 اليس تحب كل ذلك . وتمتّع به مع انه لا يحبّك ؟ فبهبها بعض نعم
 دنياك وآخرتك . فقام كالمسرور ورجع اليها وسأهلها في سوء خلقها
 حتى رجع الله تعالى بقلبها اليه وطاب عيشه معها ٢ .

وجاء في روضة المحبين عن المحبة أنها شجرة في القلب ، عروقتها
 الذلّ للمحبوب ٣ . وفي موضع آخر « والحب مبنيّ على الذلّ ولا
 يأنف العزيز الذي لا يذلّ لشيء من ذلّه لمحبوبه ، ولا يعده نقصاً
 ولا عيباً بل كثيرٌ منهم يعدّ ذلّه عزاً ٤ .

مساكين أهل الحب حتى قبورهم
 عليها تراب الذل دون المقابر

أما العشيقات الكثيرات فلم يرين مذلة وهواناً في ان يرغن
 خدودهنّ بتراب قبور احبائن حزنّاً عليهم وتحسراً . وانتشرت هذه
 الطريقة في الادب . فالشاعر الغزلي عليه في الدرجة الاولى ان يتذلّل

(١) مصارع العشاق ص: ٣ (٢) محاضرات الادباء ٢ : ٢٣
 (٣) روضة المحبين ص: ٤٣٦ (٤) روضة المحبين ص: ٣٠١-٣٠٢

امام الحبيبة وان يسفح ماء وجهه و كبرياءه امامها ، مظهر آ لها شدة
هيامه وتدلّه في حبها وإلا فليس هو بعاشق . ألم يعب ابن ابي عتيق
على عمر بن ابي ربيعة افتخاره بنفسه وتشبّهه بجماله عندما سمعه ينشد
آياته الطريفة المعروفة :

« قلن يسترضينها : منيتنا

لو آتانا اليوم في سرّ عمر !

بينما يذكرني ابصرني

دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قلن تعرفن الفتى ؟ قلن نعم

قد عرفناه وهل يخفى القمر^١ ؟ »

فقال له ابن ابي عتيق : « انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك .
كان ينبغي ان تقول : قلت لها فقالت لي ، فوضعت خدي
فوطئت عليه . »

فأنت ترى من هذا وبما مرّ سابقاً أن العشاق ليسوا من طينة
البشر ، وأن البشر اخذوا يحيطون العشاق بهالات القداسة والغرابة
فيزعمون لهم ما لا يدخل في عقل ويدعون لهم الحكايات العجيبة
الغريبة . « فذنوب العشاق ذنوب اضطرار لا ذنوب اختيار^٢ »
اما قبورهم فأعظم القبور وتراها تراب مقدّس « ... لا والله ما أذلّ

(١) شعر عمر ابن ابي ربيعة ، المجلد الاول ليسك ١٣١٨ ص : ٣١

(٢) مصارع العشاق ص : ٣

الله تراب قبر عاشق قطّ بل أجلّه وشرّفه ونضره وحسنه ^١ .
ومثل هذه الحكايات والروايات يملأ الكتب الأدبية العربية ، وهي ،
على ما فيها من مبالغات فاحشة ، صورة حيّة حياة القوم الاجتماعية ،
تمثّل لنا تقننهم الغريب في حبّهم ومبلغ اهتمامهم بعشاقهم ، فضلاً
عن الروح الفكاهة ، الأدبية التي تنضح بها كل من هذه الحكايات
المستملحة !!

وما قولك في قبوري عُرّوة وعفراء ، بين صنعاء ومكة ، وفي
الشجرتين اللتين نبتتا عليهما حتى اذا صارتا على قامّة التفّت اغصانها
فكان الناس يقولون تآلفا في الحياة وفي الممات ^٢ ؟! ما قولك في ذلك
وفي امثاله من الحكايات ؟ إنه لتفنن لم يسبقهم اليه شعب آخر على ما
أرى ! وامعنوا في هذا التفنن حتى ادّعى الشعالبي في فقه اللغة : أن
التناكح وقع بين الأنس والجن ^٣ . كذلك زعموا أن عمرو بن يربوع
بن حنظلة تزوج سعلالة ^٤ . حتى النخيل ، نخيل العرب ، كان يعشق
حتى يبرّحه العشق ^٥ . أما عن عشق الحيوانات والطيور وعن حنين بعضها
الى بعض فحدّث ولا حرج ^٦ . ألم تسمع بانثى ذلك البطّ التي ماتت
حزناً على اليفها لأنه ذبح ؟ ^٧ .

ألم تسمع بقصة ذلك البلبل العجيبه ، بلبل امرأة الحكم ، وكان

(٢) مصارع العشاق ص : ١٧٢

(٤) مواسم الادب ١ : ٢٨٧

(٦) ديوان الصباية ٢ : ٧٣

(١) مصارع ص : ٨٥

(٣) ديوان الصباية ١ : ٥٧

(٥) مصارع ص : ٣٠٨

(٧) مصارع العشاق ص : ٤٢٤

ينظر اليها وهو في قفصه فيصفر لها ؟ فلما رآها قد دعت يوسف تراوده
عن نفسه ناداه بالعبرانية . يا يوسف لا ترنِ فإن الطير فينا اذا زنى
تناثر ريشه ^١ . وهذه الطيور ، طيور العرب العاشقة ، تفهم الشعر
والغزل ، ولها أناشيد تتغزل بها منها انشوده الزّاعغ ^٢ :

أنا الزّاعغ ابو عجوة

أنا ابن الليث واللبوة

أحبُّ الرّاح والرّيحان

والنشوة والقهوة !!

ولو أردنا تعداد مثل هذه الروايات الطريفة لاستغرق ذلك
صفحات وصفحات . ولكننا نكتفي بالقليل منها على ان نلمّ ببعض
التعاريف للحب عند العرب او بالأحرى في نظر روائهم وبعض
علمائهم وادبائهم . لقد اخذ هؤلاء الرواة ، وقد اشتهر في ميدان الحب
والعشق اكثر من عاشق ، يهتمون بتدوين الكتب ووضع التعاريف
المختلفة للعشق . فابن قسيم الجوزية يضع في كتابه « روضة المحبين ^٣ »
نحو خمسين اسماً للحب . فهو المحبة ، والعلاقة ، والهوى ، والصبوة ،
والصباية ، والشغف ، والمقة ، والوجد ، والكلف ، والعشق ، والجوى ،
والشوق ، والشجو ، والتباريح ، والشجن ، والارق ، واللوعة ،

(١) مصارع ص : ٥٣

(٢) مصارع ص : ٥٢

(٣) روضة المحبين من ص : ١٩ الى ٦١

والجنون ، والفتون واللاعج الخ الخ... ويأخذ في تحليل كل نوع من هذه الانواع وينظر في اشتقاقها ونسبة بعضها الى بعضها في بحث مستفيض يستغرق نحو اربعين صفحة من كتابه .

ويبحث الراغب الاصبهاني في كتابه « محاضرات الأدباء ^١ » في الهوى واحوال العشاق وماهيّة العشق وفروعه وانواعه فيقول :

قال العلماء : الهوى انواع اوله العلاقة وهو الشيء يحدّثه النظر والسمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير ' محبة . والحب اسم مشترك يجمع ' ضرورياً من ميل النفس كحب الولد والمال ثم الهوى ثم المودة ، ثم الصباية ، ثم العشق ، ثم الوله والهيام والتّيمّم وهو ارفع درجات الحب لأنه التعبد .

كذلك يصنف النويري الحب في كتابه « نهاية الأرب ^٢ » الى اصناف ومراتب . فهناك الغزل والنسيب والهوى ، والمحبة والعشق . وهناك المودة التي تقوى فتصير محبة ثم هوى ، ثم عشقاً ثم يصير العشق تتيماً ثم يزيد التّيمّم فيصير ولهاً (والوله الخروج عن حد التّريب والتعطّل عن احوال التّمييز)

وقد تضاربت آراؤهم في تحديد العشق وتعريفه إذ فهمه الحضريون على طريقتهم والأعراب على طريقة اخرى . وذلك لأن الحب ليس من المواضع التي يسهل تعريفها .

(١) محاضرات الادباء ٢ : ١٧

(٢) نهاية الارب ج ٢ : ١٣٤ و ١٣٨

وحكي عن الاصمعي ايضاً انه حدّد العشق بقوله : « اذا تقاربت
الاخلاق المشاكلة وتمازجت الارواح المشابهة لُحِج نور ساطع
يستضيء به العقل وتهتز لاشراقه طباع الحياة ، ويتصور من ذلك
النور خلق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى العشق ١ . » ومن
لطيف ما ذكره عن اسباب العشق ونتائجه قول احد الحكماء
الأوائل وقد ذكره النويري قال ٢ :

« وقد ذكر حكماء الأوائل أنه اذا وقعت القبل بين المتحابين
ووصلت بلّة من ريق كل واحد منهما الى المعدة الآخر اختلط ذلك
بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد . وهكذا اذا تنفس كل واحد
منهما في وجه صاحبه ، فانه يخرج مع ذلك النفس شيء من نسيم كل
واحد منهما فيختلط باجزاء الهواء ، فاذا استنشق من ذلك الهواء دخل
في الحياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه كسريات النور في
جسم البلور ، ووصل بعضه الى جرم الرئة ثم الى القلب فيدب في
العروق الضواريب في جميع البدن . فينعقد في بدن هذا ما تحلل من
بدن هذا فيصير مزاجاً فيتولد به العشق وينمى ... »

ومدح العشق كثيرون وذمّه كثيرون . قالوا : « العشق يولد
الاخلاق الحميدة . وقالوا : إنه لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجع
الجبان ويصفي الأذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً » . واتهموا

(١) نهاية الارب ٢ : ١٣٧

(٢) نهاية الارب ٢ : ١٤٧

من لم يحب باشنع التهم والصقوا به اشنع الاوصاف : فهو رديء
التركيب ، جافي الطبع ، كزّ المعاطف . وقالوا : لا يسلم احد من
العشق إلا الجلف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم . فاما من
طبعه ادنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز فهيئات ^١ !

قال الجاحظ في احدى رسائله : « تأملنا شأن الدنيا فوجدنا اكبر
نعيمها واكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطليبه ^٢ » . وكثرت
التعاريف للمحب طبقاً لأذواق الادباء والظرفاء من الرواة العرب .
فالعشق فن من فنون الجنون ، وهو تحريك الساكن وتسكين
المتحرك . وهو عصارة السحر . فهذه العصارة السحرية هي التي جعلت
الشعراء الغزلين هذه الشهرة الادبية وحببتهم الى قلوبنا . لذلك
سنحاول ، في هذه الدراسة الادبية ان نلمّ بهؤلاء الشعراء فننظر في
سبب تسميتهم بالعذريين . وما هو حبه العذري هذا ، وما علاقته
بالحب الافلاطوني . ندرس هذا الحب ونسبر غوره وعمقه وشدة
حرارته على ضوء الآثار الادبية التي خلفها لنا هؤلاء الشعراء ...

(١) نهاية الارب ج ٢ : ١٤٢ تجد جميع هذه الاقوال ومثلها كثير

(٢) ديوان الصبابة ج ١ : ١٢

سراب الصحراء

« واني لارضى من بشينة بالذي
لو ابصره الواشي لقوت بلائله
بلا ، وبألا استطيع ، وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى اذ الحول يتقضي
اواخره لا نلتقي واوائله »
جميل

الحب العذري

✕ عرّف العرب قبضةً من شعرائهم الاسلاميين بالشعراء العذريين
فمن هم هؤلاء الشعراء؟ ولماذا نسبوا الى هذا الاسم؟ وما هو هذا
الحب العذري؟ وأي علاقة تربطه بالحب الافلاطوني؟

يقودنا الجواب حتماً الى البحث في بني عذرة وشهرتهم، وفي سبب
نسبة الحب العذري اليهم.

يؤخذ من بعض اخبار الكتب الادبية العربية كالاغاني وغيره
من كتب الاصول أن عذرة كانت قبيلة لها اعمال مجيدة في ايام
العرب، وأن رجالها من افصح الرجال بشهادة عبد الملك في قوله عن
آل عذرة: «اولئك فصحاء الناس». وتروى الحكايات والقصص
عن اشتهارهم بحبهم ومياعنهم في ذلك الحب ورقتهم حتى الانغيات
واليك بعضها:

(١) الاغاني ج ٧ : ٥٤ بولاق

روى ابراهيم بن سعد الزُّهريّ قال : « أتاني رجل من بني
عذرة لحاجة فجرى ذكرُ العشق والعشاق فقلتُ له : أنتم ارقّ قلوباً
أم بنو عامر ؟ قال : إنّنا لأرقّ الناس قلوباً ولكن غلبتنا بنو عامر
بمجنونها ^١ »

والظاهر أن العاشق العذري كان يستمدّ من ضعفه قوة وممن
« المهاجر البليج والأعين الدعج » سراحاً يشهره في وجه خصومه الذين
يعيرونه حبه . قال ابو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجل من بني
عذرة : « تعدّون موتكم في الحب مزية ، وانما ذلك من ضعف البنية
وعجز الروية ، فقال العذري : اما انكم لو رأيتم المهاجر البليج تُرشق
بالأعين الدعج فوقها الحواجب الزج وتحتها المباسم الفلج والشفاه السُمر
تفتقر عن الثنايا الغرّ كأنها برْدُ الدُرّ لجعلتموها اللات والعزى
ورفضتم الاسلام وراء ظهوركم ^٢ »

وسأل سعيد بن عقبة الهمداني أعرابياً قال : « ممن الفتى ؟ قال :
من قوم اذا عشقوا ماتوا . قال : عذري ورب الكعبة !! قال :
وممّ ذاك ؟ قال : في نسائنا صباحة وفي فتياتنا عفة ^٣ . وهذه
الصباحة في النساء العذريات وهذه العفة في الرجال كلقتهم غالباً . لقد
دفعوا ثمنها دم أكبادهم وعصارة صدورهم .

(١) الاغانى ج ١ : ١٧٩ بولاق

(٢) زهر الآداب للحصري ج ٣ : ١٤١ مصارع العشاق ص : ١٧ وديوان

الصبابة ج ٢ : ٥٥ وتزيين الاسواق ج ١ : ١٠

(٣) مصارع ص : ٣٥١ ، ديوان الصبابة ٥٥ : ٢ ، تزيين الاسواق ١٠ : ١

حدثت احمد بن الزبير قال : سمعت رجلاً من بني عذرة عند
عروة بن الزبير يحدثه فقال عروة : « يا هذا بحق اقول لكم انكم
ارق الناس قلوباً ! فقال نعم والله : لقد تركت بالحي ثلاثين قد
خامرهم السل وما بهم داء إلا الحب ^١ »

وهكذا ترى أن الهزال والاصفرار ، والنحول حتى الموت هي
من علامات الهوى العذري بل هي من ادق خصائصه . ألم تسمع الى
جواب ابن عقبة للاعرابي :

« عذري ورب الكعبة » لأنه قال : نحن من قوم اذا عشقوا
ماتوا !

واسترسلوا في تعريف العشاق العذريين فادّعوا أن العاشق منهم
لا يمكنه أن يكون سميناً ، محباً للأكل . أنشد أحد الاعراب ^٢ :

وقد رابني من زهدم أن زهدماً
يشدُّ على خبزي ويبكي على جملي
فلو كنت عذريّ العلاقة لم تكن
سميناً وانساك الهوى كثرة الاكل

واشتهر العشاق العذريون بموتهم في سبيل حبيباتهم حتى ذاع صيتهم
بين القبائل وضربت بحبهم الامثال :

(١) مصارع ص : ٢٠ ، ديوان الصباية ٢ : ٥٥

(٢) الكامل للمبرد . وتروى هذه الايات على انها لجميل : راجع مصارع

العشاق ص : ٢٥٨

... انت لو كنت عاشقاً متَّ عشقاً ١

مثلاً مات من بني عذرة كل صحيح الهوى فغودر ملقى
قتل الحب قيس لبني ومجنون بني عامر وامرض خلقت
وتحدت كثيراً وجميلاً ولقي منه عروة كل ملقى

ورددت الكتب الادبية هذه الروايات عن بني عذرة وعن حبهم
الغريب حتى قالوا فيهم الأقاويل : « فهم قبيلة مشهورة بالعشق
في قبائل العرب واليه ينسب الهوى العذري لأنهم أشد خلق الله
عشقا ٢ »

« وهم أشد الناس غراماً وأعظمهم هياماً ... والعشق فيهم
كثير والمقتول منهم جم غفير ٣ » . وقالوا : « إنه ليس حي أصدق
في الحب من بني عذرة ولا تضرب الامثال إلا بهم ٤ » . وقيل
فيهم : « انهم اشتهروا برقة قلوبهم وصدق المقة مع العفاف وتجنب
المآثم ٥ » .

وحبهم ذو لون خاص يميزه من حب بقية الناس « فهم يستلذون
مرارة العشق مثل الضرب ، جبلت المحبة من طيبتهم ، وجنيت المودة
من لينتهم ، وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك ... فمنهم من يموت
من أوام غرامه ، ومنهم من يموت بهيام سقامه ٦ » .

(١) مصارع ص : ٢٦٨ (٢) ديوان الصباية ج ٢ : ٥٥

(٣) ديوان الصباية ج ٢ : ٥٤ (٤) تزيين الاسواق ج ١ : ١٠

(٥) مصارع العشاق ص : ١٣٤

(٦) شرح المقامات الخيرية للشريشي ص : ٢٨١

وهم لا يؤمنون بغير هذا النوع العذريّ من الحب « فالحب اذا
نكح فسد » على رأي احد فتيانهم .

حدث ابو عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من تميم قال :
« خرجت في طلب ضالة لي ، فبينما انا ادور في ارض بني عذرة
أنشدُها اذا ببيت منعزل عن البيوت وفي كسره شاب مغمى عليه ،
وعند رأسه عجوز بها بقيّة جمال ساهية ، تنظر اليه . فسألت عليها
فردّت السلام فسألتها عن ضالتي فلم تعلم بها .

فقلتُ من هذا الفتى ؟ فقالت ابني . فهل لك في أجر لا مؤونة
فيه ؟ فقلت والله اني أحب الأجر وان رُزئت . فقالت : ان ابني
هذا يهوى ابنة عم له عُلقها وهما صغيران فلما كبرت خطبها غيره .
فأخذه شبيه الجنون . فخطبها الى ابنيها فمنعه وزوجها غيره . فنجح
جسمه واصفرّ لونه وذهب عقله . فلما كان منذ خمس زفت الى
زوجها . فهو كما ترى مغمى عليه ، لا يأكل ولا يشرب ، فلو نزلت
اليه فوعظته ؟ قال فنزلت اليه فلم أدع موعظة إلا وعظته بها حتى
قلت له : إنهنّ الغواني صاحبات يوسف ، الناقضات العهد ، وقد قال
فيهنّ كثير :

هل وصل عزّة إلا وصل غانية

في وصل غانية من وصلها خلف

قال فرفع رأسه محمّرة غيناه كالمغضب وهو يقول :

لست ككثير . إن كثيراً رجل مائق وأنا وامق . ولكني

كأخي تميم حيث يقول :

الا لا يضرّ الحب من كان صابراً
ولكنّ ما اجتاب الفؤاد يضير
الا قاتل الله الهوى كيف قادني
كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له إنه قد جاء عن نبينا (ص) أنه قال :
من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي . فأنشأ يقول :

الا ما للمليحة لم تعدني
أنجلّ بالمليحة أم صدود ؟
مرضت فعادني أهلي جميعاً
فمالك لم تري فيمن يعود ؟
فقدتك بينهم فبكيت شوقاً
وفقد الألف يا أملي شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد
ولو كنت المريض لكنت أسعى
إليك وما يهدّني الوعيد !

ثم شفق شهقة وخفت خفّة فداخني امرئ ما داخني مثله قط
والعجوز تبكي . فلما رأت ما حلّ بي قالت : يا فتى لا ترع . مات
والله ولدي بأجله واستراح من تباريحه وغصصه . فهل لك في

استكمال الصنيعة ؟

قلتُ قولي ما احببت . قالت تأتي البيوت فتنعاه اليهم ليعاونوني
على رسمه . فاني وحيدة . فركبت فرسي وأتيتُ البيوت رافعاً
صوتي بنعيه فلم ألبث أن خرجت لي جاريةٌ أجملُ ما رأيت من
النساء ، ناشرةً شعرها ، حديثة عهد بعرس ، تقول : بفيك الحجرُ
المصمت من تنعى ؟ قلت أنعى فلاناً قالت : او قد مات ؟ قلت إي
والله قد مات . قالت فهل سمعت له قولاً ؟ قلت اللهم شعراً . قالت
وما هو ؟ فأنشدتها ابياته . فاستعبرت وانشأت تقول :

عداي أن أزورك يا مرادي
معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ ثويثَ اليوم لحداً
وكل الناس دُورهم لحد
فلا طابت لي الدنيا فراقاً
ولا لهم ولا أثري العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً عليها وخرجت النساء من البيوت
فاضطربت ساعة وماتت . فوالله ما برحت حتى دفنتها جميعاً^١ .
وقس على هذه الحكايات والروايات عشرات مثلها وكلها تنطق

(١) شرح المقامات الحريرية للشريشي ص : ٢٨١ - ٢٨٢

بما كان لهذه القبيلة من عواطف حبية سامية هي غير عواطف الناس
على ما يظهر . والذي يدعو الى الخيرة والدهشة حصر هذا النوع من
الحب في قبيلة عربية واحدة هي قبيلة بني عذرة . وإن الباحث
ليتساءل عن اشتهار هذه القبيلة بحبها دون غيرها لاسيا والمحيط واحد
والبلاد واحدة والقوم كلهم يعيشون حياة تكاد تكون واحدة وإن
اختلفت في ظاهرها بعض الاختلاف كما سنبين في فصل آخر . نتساءل ،
في كثير من الدهشة ، كأن بني عذرة وعشاقهم كانوا من طينة غير
طينة البشر ، وكأنهم ، بما عرف في نساءهم من صباحة وبما اشتهر عن
فتياتهم من عفة ، قد جبلوا من طينة الملائكة ولم تثر في صدورهم
العاطنة البشرية التي تثور فيّ وفيك وفي كل بشري آخر ...!

ونحن غيل الى الاعتقاد بغلو الرواة العرب في ما زعموه عن بني
عذرة وعشاقهم حتى أخرجوهم من طبقة الناس ووضعوهم في مصاف
الآلهة ونسبوا الى حبهم كل غريب عجيب ... فما هو هذا الحب
العذري الذي نسبوه اليهم ؟

ليس هو في الحقيقة سوى حب يؤدي بصاحبه الى الهزال والاصفرار
والنحول ثم الموت . وهو حب طاهر ، لا يعترف بحق الجسد وشهواته
وتمتعه بلذات الحب . والحبيب العذري حبيب رقيق ، صادق في حبه
حتى الموت ، تضرب به الأمثال ، لا يسمن لأنه لا يأكل ، ينهش داء
السل رثيته نهشاً وما داؤه في الحقيقة غير عشقه . اما دواؤه فهو الحبيب
المعبود ، ولكن دون الوصول اليه اهو الّا واهو الّا !

هذا ما نستطيع أن نعرفه عن الحب العذري وعن العشاق العذريين .

هذا هو الحب العذري كما رواه الرواة العرب وكما رأيناه من خلال التعاريف الكثيرة المبثوثة في كتب الأدب والتاريخ . فليرجع إليها الباحثون فلن يجدوا فيها ، على ما اعتقد ، أكثر مما قلناه^١ .

ص ٨٠
أما الشعراء العذريون الذين ذاقوا هذا الحب واكتووا بنيرانه وغذوا منه ارواحهم وخيالهم فهم من لحم ودم قد وجدوا في التاريخ حقاً ، ولم يشك أحد في وجودهم اللهم الا مجنون بني عامر كما سدى . وقد عرفهم صدر الاسلام شخصيات اديبة معروفة لها وزنها واعتبارها . وأشهرهم : جميل بثينة ، مجنون ليلى ، قيس بن ذريح ، وعروة بن حزام .

ومنهم من ينتمي الى قبيلة بني عذرة ومنهم من ينسب حبه الى الحب العذري لاشتهاره بالطهر والعفة وما شاكل هذه الصفات . هؤلاء هم الشعراء العذريون وهذا هو الحب العذري . فما هو الحب الافلاطوني ؟ وما علاقته بالحب العذري ؟

(١) هذا التعريف للحب العذري يستنتج من كتب الأدب والمصادر الأولية كما هو مبين في سياق البحث وليس هو من عندنا ولا يمثل رأينا كما ذكر الدكتور عمر فروخ في كتابه : عمر ابن ابي ربيعة الخزومي ص : ٢٣ طبعة ثانية

عالم الآلة

«...حتى اذا اصبح فيلسوفاً بحكم محبته
وشغفه بفلسفته مرّت به لحظات خاطفة
لا تمر الا بالحكيم الذي تفتحت آفاق روحه
وارتفعت دنياه فآمله فآتحد بالمثل التي تكشف
عنها الفلسفة ولاح له قبس الحق المطلق ..»

الحب الافلاطوني *



في ليلة سكري بعبق الحب وخمرة العبقرية ، من ليالي الاغريق
الغواير ، تلك الليالي الحبلى بكل مبتكر جديد ، اجتمع حكماء
اليونان ، موزعو الفكر البشري ، حول مائدة ترقص فوقها بنات
الحانات ، يتناشدون الأناشيد الحلوة في الحب ويتذاكرون فيه باحثين ،
مجادلين . فأسفر اجتماعهم عن اعذب نشيد علوي من اناشيد الحب التي
عرفتها الانسانية هو : كتاب المائدة لأفلاطون الحكيم .

وفي كتاب المائدة هذا ، أرقّ الاحاديث في الحب وانواعه .
فلقد تخيّل افلاطون حفلة من الحفلات اليونانية القديمة ضمت رهطاً
من مختلف طبقات المجتمع اليوناني بينهم الطبيب والمحامي والاديب
والشاعر . فأخذ يبدي كلّ منهم رأياً في الحب حسب هواه وحسب

(*) اعتمدنا في دراسة الحب الافلاطوني كتاب المائدة لأفلاطون بالانكليزية
« The Symposium » وتلخيص هذا الكتاب بالعربية لمحمد لطفي جمعة .

ما يعتقد انه من الواجب أن يكون .

فالواحد يرى ان الحب كثير الخيرات للمجتمع الانساني . فهو يوقظ في نفوس العشاق عاطفة الحب من السقوط في هوة العار وعاطفة التفاني في حب العلا التي تؤدي الى القيام بكبار الاعمال وعظام الامور .

والآخر يفرق بين الحب الارضي الذي تعرفه العامة ونهم به كالبهم لما فيه من الشهوات الدنيئة ، ذلك الحب الذي يعشق عباده الأبدان ولا يأبهون للنفوس ، ويفضلون الجهل على العلم ويستهنون بالشرف والجمال ولا يعملون إلا لاطفاء نيران شهوات الجسد ، وبين الحب السماوي الشريف الذي يوحى الاخلاص والنقاء ، ويعشق عباده القوة والجمال في العقل والجسم ، ذلك الحب الذي هو اشرف انواع الحب لأن غايته الفضيلة وكمال النفس لا حسن الوجه وجمال الجسم ، ولأنه يقود الافراد والجماعات للتفاهم فيما بينهم وللعمل معاً بوثاق في سبيل تقدمهم وسعادتهم .

ويحاول الطبيب بما له من معرفة في تكوين اعضاء الجسم ان يوفق بين الحبين : الأرضي والسماوي ويميز للانسان ان يتمتع بالحب الارضي دون الانغماس فيه كما يجوز ، بناء على حرفة الطب ، ان يتمتع بملاذ المائدة دون ان نعرض انفسنا للعلل .

اما الاديب فالحب في نظره هو الحنين الى الالتصاق بنصفنا المبتور عنا منذ الأزل لكي نكمل كليتنا . ألم نَرَ كيف ان الآلهة

غضبت على الاجناس البشرية لتطاولها عليها فشقتهم الى نصفين فصار
كل نصف يحن الى نصفه الآخر ويتمنى لو يمتلكه لتتم له غاية الحب
التي هي السعادة؟! ١

أما الشاعر فيرى ان الحب يخلق جميع الفنون . والحب هو واضع
السلام بين البشر ، وهو يهدي عواصف البحر ويجرد الانسان
من البغض ويملا قلوبنا بالعطف . يطر الخير والوداعة على الارض
وتفر من وجهه سائر الميول الخسنة وتهلك ... لا تمس رجلاه
الارض ولا يمشي على جماجم الرجال الجافة الغليظة بل في قلوبهم
ونفوسهم !!.

وجميع هذه الاقوال لا تعبّر عن رأي افلاطون في الحب ، ولا
يمكننا اعتبارها ، رغم اهميتها ، تحديداً نهائياً للحب الافلاطوني الذي
يعبر عنه سقراط تعبيراً صحيحاً جامعاً بعد ان يصغي لهذه الاقوال
المختلفة فيغربلها وينقدها ويدرس الحب درساً فلسفياً منطقياً مما يحمل
بقية زملائه على الاستسلام له والأخذ بأرائه واحكامه فيقول :

الحب له حبيب معين يشتهي ويشتهي امتلاكه .

وحبيب الحب هو الجمال .

فالحب يشتهي امتلاك الجمال ولذلك فهو ليس جميلاً .

والجمال هو الخير . فالحب يحتاج الى الخير كحاجته الى الجمال .

(١) راجع الفصل الاول ص : ٩

وهو ليس جميلاً وليس خيراً بل هو بين الاثنين ... انه شيطان
والشيطان وسط بين الرباني والانساني .

هو يفسر الاشياء الربانية والاشياء الانسانية بعضها لبعض .
وهو وسط بين الفقر والغنى ، بين الجهل والمعرفة لأنه ثمرة احشاء
« الحاجة » Poverty التي أغرت « الوفور » Plenty ابن متيس
على مضاجعتها فأولدها الحب^١ .

فهنا ينقض سقراط اقوال زملائه في تشديده على تعيين حبيب
الحب وهو دائماً الجمال ، وعلى اشتهاه هذا الحبيب الحب وامتلاكه ،
ثم على ان الانسان لا يفتش عن نصفه إلا اذا كان ذلك النصف صالحاً
جميلاً ، لأن الانسان في حبه انما يحب الخير فقط ، فالحب هو :

الرغبة الصادقة في امتلاك السعادة وامتلاك ما كانت صفته الخير .
والحب هو رغبة التوليد الروحي والجسدي بفعل حضرة الجمال ،
لأن القباحة والتشويه لا يلهمان النفس ولا يوحيان اليها .

والحب هو عشق الخلود في النفس والجسد . فهناك من يعتقدون
ان خلودهم يكون في إنتاج الاولاد لذلك فهم 'يجذبون نحو النساء .
ومنهم من تحمل نفوسهم اكثر من اجسامهم فهم يبتدعون ويتكرون
كل ما هو ملائم للنفس فيخلدون بما يخلفونه من آثار فكرية سامية
كالحكمة والفضيلة والعدل وما شاكل من هذه الصفات التي رفع

Jowett - The Dialogues of Plato pp : 495 - 496 (١)

لها بنو البشر هياكل من العظمة والمجد لم يرفعوا مثلها لأي مخلوق
بشري آخر ١

ويلخص سقراط كلامه في الحب فيعدد درجاته المختلفة فيقول :
على من يسير في طريق الحب الطبيعية ان يسعى للاتصال
بالأشكال المادية الجميلة منذ صباه فيحصر حبه في شكل واحد يوحى
اليه المفاخر العقلية .

ثم انه يلاحظ في الخطوة الثانية ان الجمال في شكل واحد هو
شقيق الجمال في اي شكل آخر . لذلك يتحوّل حبه العنيف من
الشكل الواحد الى الأشكال العديدة . ومن الشخص الواحد الى
الأشخاص الكثيرين لأنه يلمح في جميع هؤلاء الأشخاص انعكاساً
للجمال نفسه .

ومن ثم ينتقل حبه من الأشكال المادية الحسية الجميلة الى النفوس
الجميلة . فجمال النفس المشرقة أرقى من جمال الأبدان وأبهى . وجمال
الروح المستنيرة أوقع في النفوس وأروع من الجمال الحسي .

ثم يقود هذا الحب النفساني المحبّ الى حب المؤسسات والشرائع
فيصبح حب المؤسسة في نظره أرقى من حب رئيسها بروحه وشريف
عواطفه ، كذلك يصبح حب العائلة أرقى من حب الزوج لزوجته
الذين يؤلفان هذه العائلة . كذلك قل في جمال كل مؤسسة او
شريعة اخرى .

وتنصهر نفس المحب في بوتقة الجمال ويسير في طريقه الصحيح

الممهد فيرتقي من حالة الى حالة حتى تنفتح عيناه على جمال العلوم
الطبيعة فيقبل عليها ويتعلق بها تعلقاً ينسيه انواع الجمال التي مر بها .
هذا هو عشق العالم لعلمه ، وهو ارقى من عشقه للمؤسسة التي ارضعته
هذا العلم . يتذوق طعم العلوم ومرارتها الحلوة بعد ان يمر في اتونها
فتنجلي له عندئذ حقائق الفلسفة وجمالها فيتعشقها تعشقاً كلياً ويخلص
من رتبة عبادة الجمال والحب في شكل خاص او شخص واحد ، ومن
عبادة الجمال في مؤسسة واحدة او شريعة من الشرائع ، حتى اذا اصبح
فيلسوفاً بحكم محبته وشغفه بفلسفته مروت به لحظات خاطفة لا تمر
الا بالحكيم الذي تفتحت آفاق روحه وارتفعت دنيا عقله فاتحد
بالمثل التي تكشف عنها الفلسفة ، ولا ح له قبس الحق المطلق فعشقه
عشقاً ابدياً خالداً حيث وجد بينه وبينه تماساً لا تفصم عراه ...
هذا الحق هو الجمال المطلق العجيب في طبيعته الخالدة ، الذي لا
يمكن إنتاجه ولا يمكن إهلاكه ، لا يزيد ولا ينقص ولا يشبه بقية
الأشياء من حيث انها جميلة من جهة ، ومشوهة من جهة اخرى .

لا يمكن تصويره للذهن كتصور اعضاء الجسم الحسية ، او
تصوره كعلم من العلوم . ليس له وجود معين في الأرض او في
السماء او في مكان آخر . ولكنه ذو شكل دائم واحد ، ثابت ،
ملائم لذاته .

هو ممتزج بالحقيقة ذاتها ، فهو يخرج الفضيلة ذاتها ويتغذى بها
ويصبح عزيزاً لدى الأرباب .

هو نعمة إن صحت لكائن بشري ، كان ولا شك خالداً خلوداً
ابدياً .

فسلّم الحب في نظر افلاطون تتألف من سبع درجات تختصر
فيما يلي :

- ١ — حب الجمال في شكل واحد معين .
- ٢ — حب الجمال في كل الاشكال الجميلة .
- ٣ — حب الجمال الروحاني وتفضيله على الجمال الجسماني .
- ٤ — حب الجمال في المؤسسات والشرائع .
- ٥ — حب الجمال في العلوم الطبيعية .
- ٦ — حب الجمال في المثل التي تكشف عنها الفلسفة .
- ٧ — حب الجمال المطلق — مجاهدة وجه الحق الجميل !

وهذه الدرجات المختلفة متممة الواحدة منها الاخرى يجب ان
يمر بها الانسان ليعرف معنى الحب الافلاطوني الصحيح ، وليتذوق
طعم الجمال المطلق .

ونحن لا ندّعي الاحاطة بكل ما جاء في كتاب المائدة ، كما ان
ذلك ليس غرضنا في هذا الكتاب لئلا نخرج عن موضوعنا الرئيسي .
ولكننا ، ونحن نثبت اقوال افلاطون في الحب ، لا بد من الاشارة
الى ان هناك كثيرين من ادباء العالم يطلقون على الحب الافلاطوني
تفاسير عديدة قد تخرجه عن حقيقته او قد تكون مشوهة ، ناقصة .
فبعضهم يقول : انه الحب المجرد من كل شهوة حسية . وهو اقوى

من الحب العادي وأعنف، وهو يسبق، عادة، الحب الجنسي، بل هو
الخطوة الاولى التي تقودنا الى ذلك .

ولقد رأينا ان الحب بعرف افلاطون يبدأ بالحسيات وينتهي
بالمُثُل، يولد على الارض ويطير بأجنحة خفية الى السماء . فالحب
الارضى هو الدرجة الاولى في سلم الحب، بينما الحب السماوي هو
غاية الحب .

ومن المعلوم ان كثيرين من فلاسفة العصور القديمة لم يروا في
الحب غير شهوة حسية . ولكن سقراط و افلاطون و ارسطو و بلوتارك
رأوا فيه عواطف سامية شريفة .

وهناك فريق كبير من ادبائنا يخلط بين العذرية العربية
والافلاطونية اليونانية^١ . فالحب العذري العربي معناه عند هؤلاء
الادباء الحب الافلاطوني اليوناني . والحقيقة التي لا تدع مجالاً للشك
هي أنه ليس من علاقة بين الحبين كما يظهر من سياق بحثنا . واذا
اجزت لنفسى المقارنة بين الحبين بعد ان اتضح لي عدم تأثير الواحد
منهما في الآخر فلنكني لا يبقى مجال للشك في علاقة هذين النوعين
من الحب، ولكي يكون بين يدي القارىء تعريف لكل منهما على
وجهه الصحيح الكامل .

والغريب ان هؤلاء الأدباء يذهبون الى ان الحب العذري هو

(١) حبيب الزيات - المرأة في الجاهلية ص: ٢٩

الحب المسيحي وهو الحب الصوفي . وهنا مجال كبير للشك والمناقشة .
والذي يهمنا في دراستنا هذه أن الحب العذري يختلف عن الحب
الافلاطوني في أمور كثيرة ، عدد بعضها فيما يلي :

١ - يتضح للدارس أن الحب الافلاطوني كما جاء في كتاب
المائدة ، يقوم في مدنية ناضجة ، لها علومها ولها فنونها بينما الحب
العذري يقوم في بداوة . فالحب الافلاطوني هو نتيجة درس عميق
مبني على أسس فلسفية حاول افلاطون درسها وتحليلها . لقد تناول
موضوع الحب من وجوهه المختلفة وحلله تحليلًا علميًا وقسمه الى
اقسام مختلفة ودرس عوارضه وأسبابه ونتائجه وعدد فضائله ورذائله .
بحث في اصل خلقه وفي اقوال الأساطير اليونانية فيه ، مما لا نرى
شيئاً نظيره في الحب العذري .

٢ - الحب الافلاطوني علمي عقلي يعبر عن نفسه بتعابير علمية
عقلية . والحب العذري عاطفي خيالي ، يعبر عن نفسه بتراكيب
شعرية خيالية . يلعب في الحب الافلاطوني العقل والتفكير الرصين
دوراً هاماً وتسيطر إرادة الحب الافلاطوني على حبه فتسيره في
طريق ممد مرسوم . اما الحب العذري فهو مسير بعاطفته المحمومة
الصادقة ، لا يدري الى اين تؤدي به ولا كيف تنتهي آلامه
وأحزانه .

٣ - الحب الافلاطوني وسيلة للخلق والابداع والانتاج ، اي
ليس غاية بذاته بينما الحب العذري هو غاية بذاته لأنه ثورة نفسية

مكبوتة ، إن حاولت الانعتاق من عقلاها صدتها التقاليد الاجتماعية
الكثيرة والعادات القبلية العربية وخنقتها في صدر صاحبها خنقاً يؤدي
به الى الاصفرار والهزال والموت .

٤ — في الحب الأفلاطوني يلزمك معلم يرشدك ويأخذ بيدك ،
فيدلك على الخير والجمال ، ولا ينفتح عقلك للجمال المطلق إلا بعد
ان تكتوي بنار العلم والفن والحكمة . وليس شيء من مثل هذا في
الحب العذري .

٥ — للحب الأفلاطوني موضوع نهائي هو الله او الجمال المطلق
المجرد عن المخلوقات . وموضوع الحب العذري ليلي وبشينة وعفراء
ولبني وكفى !

٦ — في الحب الأفلاطوني تلمس شيئاً من جذب الحبيب الى الجمال
المطلق . بينما التقاليد الاجتماعية الموروثة عند العرب وقفت حاجزاً
منيعاً في تقرب الحبيب من حبيبه .

٧ — واخيراً ارى ان الحب الأفلاطوني ، مع انه حب مثالي ،
أقرب الى حقيقة الانسان من الحب العذري الذي لا يصح وجوده
إلا عند جماعة شاذة من البشر ، لها طباعها الخاصة ومزاجها الخاص
وتقاليدها الاجتماعية الموروثة أباً عن جد ، وفهمها الناقص للحياة
الانسانية ومتطلباتها .

فالأول حب صحي . والثاني هو حب مَرَضِي .
أقول هذا وأنا لا اقصد الخط من قيمة احد الحبين او تفضيل

الواحد منهما على الآخر وذلك لما بين الحبّين من الاختلاف في طبيعتهما
وفي هدف كل منهما كما ذكرت سابقاً .

إن هذه الظاهرة الحبية التي امتازت بها قبيلة بني عذرة في صدر
الاسلام ليست صدى للحب الأفلاطوني او مقدمة للحب الصوفي ، كما
حاول ويحاول البعض أن يظنوا خطأ .

واذا كان هناك بعض العناصر الحبية الأفلاطونية في الحب
العربي فهي في رسالة العشق لابن سينا وفي الحب الصوفي الذي ، وإن
كانت قد ظهرت بذوره في الحياة الأولى للاسلام ، فإنه لم يظهر
ظهوراً صحيحاً فعلاً إلا في اواخر القرن الثاني للهجرة وأوائل
القرن الثالث .

ولقد اتفق جميع الباحثين في التصوّف العربي على تأثره
بالعناصر الأجنبية كالنصرانية والفارسية والهندية والصينية وخاصة
الأفلاطونية الجديدة . ونيكلسون ، وكلام نيكلسون في التصوّف
وزنه وقيّمته ، يرجّح تأثير الأفلاطونية في التصوّف على غيرها
من العناصر .

والتصوّف مذهب من المذاهب الروحية « أن تكون مع الله
تعالى بلا علاقة ^١ » على حدّ قول الجُنَيْد .

والصوفي يجعل همّه معرفة الله . واعتبر ذلك في قول رابعة

(١) محمود البشيشي - الفرق الاسلامية ص: ٧

العدوية المتصوفة المشهورة :

« إلهي ! اذا كنتُ أعبدك رهبةً من النار فأحرقني بنار جهنم ، وإن كنتُ أعبدك رغبة في الجنة فأحرمينها . واما اذا كنتُ أعبدك ، يا إلهي ، من اجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي ١ » .

وقيل إن أبا يزيد البسطامي أحد المتصوفين المشهورين قال :

« ذهبْتُ من الله الى الله حتى نوديت من داخلي ٢ »

والخلاص أعدم لاثامه بالهرطقة ولم يرجع عن اندفاعه الشديد في حب الله حتى قيل انه صرَّح قبل اعدامه بقوله : « أنا الحق » ، وهو القائل : « ذات الله هي الحب » . كذلك يقول جلال الدين الروسي : « الحب ! الحب للخلاص من الشر . ويعتقد أن لا دين خير من دين الحب والشوق الى الله :

ادين بدين الحب أنسى توجهت

ركائبه فالحب ديني وإيماني .

فاهتمام الصوفي بتعيين هدف حبه وهو الله ، يجيزُ لنا مقارنة هذا الحب بالحب الأفلاطوني .

(١) محمود الشببشي - الفرق الاسلامية ص : ٧٣

(٢) عبد اللطيف الطياوي - التصوف الاسلامي العربي ص : ١٠

وتبرز عناصر الأفلاطونية في الحب الصوفي بروزاً واضحاً في ما يسميه المتصوفة « طريق الوصول الى الله » . فهذه الطريق ، وإن اختلف المتصوفون في تعيينها ، تشبه كثيراً سلّم الحب عند افلاطون اذ كلاهما يقود الى هدف سماوي هو : الله او الحق المطلق . يقول المتصوفون : « إن للسفر الى الله او الحبح اليه مقامات هي :

التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا . وكل مقام محتاج الى مجهود لقتل اهواء النفس واخماد شرّها فتصرف عن الملمات وتخلص من شوائبها وتتجرّد من كل شيء سوى الله فيشرق في القلب نور هو نور اليقين ويفنى الحب الصوفي في الصفات الربانية والأنوار الالهية فيطالع الله في مرآة نفسه ١ »

فأنت تحسّ أن هذا الجو ليس بعيداً عن افلاطون وأن هذه « المقامات » خاصة بعد ان يجعلها السراج الطوسي في كتابه « المع » سبعة ، تشبه درجات الحب السبع عند افلاطون .

كذلك نرى أن العلم والارشاد والطاعة العمياء للشيخ هي ضرورية واجبة للصوفي ليتمكن من الوصول الى الله ومجاهاة الحق كما رأينا أن العلم والتدريب ضروريان للمحب الأفلاطوني في حبه .

تمضح مما تقدم أن علاقة الحب الصوفي بالحب الأفلاطوني
قد تكون وثيقة بل هي وثيقة وإن اختلف الحبّان اختلافاً
اساسياً .

أما الحب العذري العربي فلا يضره أن يكون غير الحب
الأفلاطوني وإن لا يمت إليه إلا بصلات جدّ واهية .

المجانين العبقرة

« مجانين لانهم وقعوا صرعى الحب ومرضوا
فيه مرضاً ممضاً لم يطلبوا الشفاء منه ..
مجانين لان مرضهم كان سبباً في تفجر عبقريتهم
وهل كانت العبقرية غير وليدة الجنون ! »

الشعراء العذريون

الشعراء العذريون المعروفون في الأدب العربي هم :

جميل بن معمر المعروف بجميل بشينة .

قيس بن ذريح صاحب لبني .

قيس بن الملوّح المشهور باسم مجنون ليلى .

عروة بن حزام صاحب عفراء .

هؤلاء الشعراء ظهوروا في صدر الاسلام وحملوا لواء الغزل العفيف وضربوا بسهم كبير فيه حتى تغنى بشعرهم المغنون ووضع الرواة والقصاص حولهم الروايات الكثيرة المختلفة والأقاصيص الخرافية الغريبة .

ولم يشك أحدٌ من رواة الادب او مؤرخيه في وجود هؤلاء الشعراء اللهم إلا في وجود المجنون الذي كثرت حوله الاقوال والروايات حتى أصبح وكأنه من ابطال الاساطير !

والغريب أن الاقدمين شكّوا في وجوده وفي اسمه واسم حبيبته
ليلي وفي جنونه . ثم عاد بعضهم يؤكّد وجوده ومعرفة وينفي جنونه
مما يحمل الباحث على الشك بوجود هذه الشخصية الاسطورية . ولعل
الاغاني ، وهو أوفى المصادر التي نعتمدها في استقصاء هؤلاء الشعراء ،
يفيدنا شيئاً عن هذا الشاعر المجنون وأقوال الرواة فيه .

حدّث ايوب بن عبّاية قال : سألت بني عامر بطناً بطناً عن مجنون
بني عامر فما وجدت احداً يعرفه ^١ .. فما قولكم في مجنون لا يعرفه
حتى العقلاء من بني قومه !

ويظهر أن بني عامر ما كانوا ليقبلوا باتهامهم بهذا الاغاث في
الحب وهذه الميوعة . « فهم اغلظُ اكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا
في هذه اليمانية الضعافِ قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصّعبة رؤوسها ،
فاما تزار فلا ^٢ .. » فهذا الجواب ، جواب احد العامريين وهو
يردّ عن بني قومه هذه التهمة الشنعاء ، يؤكّد لنا ، إن صحّ ، أن
المجنون لم يوجد .

وقالوا : إن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له في بني عامر
أصل ولا نسب ^٣ . وذكر ابن الاعرابي أن جماعة من بني عامر
سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه وذكروا أن هذا الشعر كله مؤلف

(١) الاغاني بولاق ج ١ : ١٦٧

(٢) الاغاني ج ١ : ١٦٧

(٣) الاغاني ج ١ : ١٦٩

عليه ^١ . وحديث عن عوانة أنه قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا
عُرفوا : ابن ابي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ومجنون
بني عامر ^٢ . وايوب هذا ، له اكثر من تصريح في شخصية المجنون .
قيل إنه أنشد هذين البيتين على أنها للمجنون :

وخبرتماني أن تيماء منزل
ليلي اذا ما الصيف القى المراسيا
فهني شهور الصيف عنا قد انقضت
فما للنوى ترمي بليلى المراميا ؟

قال : وما المجنون ؟ فأخبر . فقال : ما لهذا حقيقة ولا سمعت
به ^٣ . أما الأصمعي وهو من الرواة المعروفين فكان يقول : رجلان
ما عُرفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرية وانما
وضعها الرواة ^٤ . وقيل ان ابن الكلبي قال : حدثت أن حديث
المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له ، وكان
يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار
التي يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه ^٥ .

(١) الاغاني ج ١ : ١٦٩

(٢) نفس المصدر

(٣) الاغاني ج ١ : ١٧٠

(٤) الاغاني ج ١ : ١٦٧

(٥) الاغاني ج ١ : ١٦٧

ومما يزيد في شك الباحث اختلاف الرواة في اسم المجنون فتارة هو قيس بن معاذ وتارة هو قيس بن الملوّح . وطوراً هو البحري بن جعد . وطوراً هو الأقرع بن معاذ ، وحيناً هو مهديّ ابن الملوّح .

وكما اختلفوا في اسمه اختلفوا ايضاً في جنونه . فبعد ان قولوا الأصمعي انكار المجنون عادوا فرووا عنه انه قال : لم يكن مجنوناً بل كانت به 'لوثة' (الرجل الألوث هو الأهوج) احدثها العشق فيه ^١ . ويضيف في مكان آخر : لم يكن المجنون مجنوناً وانما جننه العشق ^٢ ثم زعموا ان شعره كان سبب جنونه .

فهذه الروايات الكثيرة المختلفة تؤيد الزعم القائل بان المجنون ليس بالشاعر الذي وجد ، وانما هو شخصية ابتدعها خيال الرواة .

وقد اخذ بهذه النظرية كثيرون من ادباء العرب المحدثين في مقدمتهم الدكتور طه حسين ^٣ . وأصبح الشك في نظر الدكتور يقيناً ، وخاصة بعد ان رأى أبو الفرج الاصبهاني لا يروي اخبار المجنون إلا بتحفظ ، لأن شروط كتابه تضطره الى ذلك . قال أبو الفرج : وانا اذكر ما وقع لي من اخباره (المجنون) جملاً مستحسنة متبرئاً من العهدة فيها ^٤ .

(١) الاغانى ج ١ : ١٦٧

(٢) الاغانى ج ١ : ١٨٠

(٣) حديث الاربعاء ٢ : ٤ - ٥

(٤) الاغانى ج ١ : ١٧٠

والحقيقة ان الناقد النزيه لا يمكنه إلا ان يشك في وجود المجنون
بعد ان يطلع على هذه الروايات القلقة المشوشة ، خاصة والرواية لم
يتورعوا عن الدس والاستنباط والتماذي في اختراع الحوادث وتلفيق
الحكايات الطريفة المشحونة بها كتب الأدب العربي .

ولكن الغريب في الامر أن ادباءنا يأخذون باقوال هؤلاء الرواة
ساعة يشاءون ويطيّب لهم الأخذ ويرفضون اقوالهم ورواياتهم عندما
يطيب لهم النقد النزيه وابداء الرأي الصائب !. فالرواية الكاذب في
نظرهم اليوم قد يصبح صادقاً في الغد ، وما ذلك إلا لأن العاملين في
التاريخ العربي لم يهتموا بتصنيف رواة الادب كما اهتموا برواة
الاحاديث . فاختلط الامر وكثرت الروايات وصار يتعذر على
الدارس فهم التاريخ على حقيقته وبالتالي فهم الأدب ، مما حمل ولا
يزال يحمل رجال الأدب العربي على الوقوف موقف الشك من كل
رواية لا يقرّها النقد الفني الحديث ولا تثبت امام محك العقل والمنطق .
والذي تزعمه أن هذه الروايات التي تملأ كتب الاصول العربية لا تثبت ،
في اكثرها ، امام قواعد النقد الحديث والمنطق الصحيح ، مع انها ،
في جملتها تؤلف العنصر التاريخي الجوهرى الذي نحكم به على ادبنا
العربي ورواياتها هم هم الرواة الصادقون الكاذبون ! فالأصمعي الذي
انكر وجود المجنون ، كما رأيت ، عاد فثبتته عندما سُئل عنه اذ قال :
لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لؤثة كلؤثة ابي حيّة الشاعر ١ ،

(١) الكامل للمبرد ص : ١٨

ويعود في مكان آخر فيشك في صحة شعره ونسبته كله اليه ولكنه
يعترف بوجوده فيقول : الذي القي على المجنون من الشعر وأضيف
اليه اكثر مما قاله هو ^١ . ويروي نوفل بن مساحق عن ابيه عن
جدّه فيقول : انا رأيتُ مجنون بني عامر وكان جميل الوجه ،
ابيض اللون ، قد علاه شحوب . واستنشدته فأنشدني قصيدته التي
يقول فيها :

تذكرتُ ليلي والسنين الخوالي

وأيام لا أعدى على الدهر عاديا ^٢

وحدثت الشيباني أن رجلاً من اهل اليمن رأى المجنون ولقيه
وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوّح ^٣ كذلك قال ابن
الكلبي وحدث أن اباه (اي ابا المجنون) مات قبل اختلاطه فعقر
على قبره ناقةً وقال المجنون في ذلك شعراً ^٤ .

فأنت ترى أن الروايات متناقضة في وجود المجنون . والذين
أقروا وجوده اختلفوا في حقيقة اسمه وفي جنونه وفي سبب هذا
الجنون . ثم عادوا يحوكون حول شخصيته الحكايات السخيفة التي
يأبى العقل والمنطق تصديقها والتي تدل بصراحة فائقة على قلة مهارة
واضعيها ومصطنعيها .

(١) الاغانى ج ١ : ١٦٩ - ١٧٠

(٢) الاغانى ج ١ : ١٧٩

(٣) الاغانى ج ١ : ١٦٨

(٤) الاغانى ج ١ : ١٦٨

والذي يهمننا من موضوع المجنون في دراستنا الادبية هذه ،
شخصيته الادبية المعنوية اكثر من حقيقة وجوده الكياني خاصة وانه
يتعذر على الباحث ان يجزم جزمًا علميًا باتًا في هل وجد المجنون أم
لم يوجد . يهمننا من المجنون فكرة سامية مجنحة ، لو أنها الرواة بريشة
خيالهم المبتكر الساحر فجاءت غنية بألوانها ، رائعة في معناها ،
وفرضت نفسها على الأدب العربي فرضاً ، ومهرت فريقاً من شعرائنا
الاقدمين بنجاتها السحريّة فأخرجتهم عن حظيرة الشعراء الاسلاميين
الآخرين ، فلم يستخروا قلمهم في مدح خليفة او امير ولم ينظموا
الشعر تكلفاً او تكسباً بل راحوا يتغنّون بما يجيش في صدورهم من
عواطف هائجة محمومة بشعر اعذب من الخيال وأنقى من الفجر .
كانوا ييثون الطير شكواهم والطبيعة آلامهم في الوقت الذي تفتت
فيه مخازي المديح والاستجداء عند الاكثرية المطلقة من شعراء
عصرهم . في الوقت الذي كان الشعراء الامويون في كثرتهم المطلقة ،
ينحرون الشعر العربي الصحيح بجراهم الدامية المسمومة المتقطرة من
شفراتها ألوان السموم المختلفة من مديح وهجاء وحماسة وفخر . . في
الوقت الذي كان جرير والفرزدق والأخطل يسفحون عصارة
عبقريتهم على اعتاب الخلفاء الامويين ، متكسبين ، متملقين ، ينهشون
اعراض بعضهم بعضاً مدة اربعين سنة بأيامها ولياليها . . . في هذا
الوقت ، وفي ذلك الجو الموبوء كان الشعراء العذريون مكبّين على
انفسهم يستوحونها ، يذيبون قلوبهم المشتعلة بنار الحب نجوراً على
مذبح الشعر الصافي !

إنهم مجانين !

لقد اتهمهم الناس بالجنون ! ولكنه جنون العباقرة !

إنهم المجانين العباقرة !

لقد قال بعض الاعراب إن العشق فن من فنون الجنون وهذا صحيح !.

وبماذا يمكننا ان نشبه اولئك الشعراء الذين عبقت بوادي الحجاز
ووهاده بانفاسهم الحرى وأشعارهم الغزلية المطربة ؟ هل نشبههم
بغير المجانين ؟!

مجانين ! لأنهم خرجوا عن المألوف المعروف في بني قومهم وضربوا
بعادات العرب المألوفة عرض الحائط وأصاخوا باسماعهم الى نداءات
قلوبهم الواهية وعيونهم الدامعة وعواطفهم الصادقة !

مجانين ! لانهم قضوا ليلاليهم الطويلة والألم القتال يعصر قلوبهم
والحرقة المضة تنهش صدورهم !

مجانين ! لانهم وقعوا صرعى الحب ومرضوا فيه مرضاً مزمناً
لم يطلبوا الشفاء منه !

مجانين ! لان مرضهم كان سبباً في تفجر عبقريتهم . وهل كانت
العبقرية إلا وليدة الجنون !

وهؤلاء الشعراء المجانين العباقرة كانوا سحرة حقاً . يثبت ذلك
ما كان لهم من تأثير شديد في نفوس الناس . كانت الجوارى تتغنى
بشعر ابن ذريح وجميل والجنون فيخرق السامعون ثيابهم ويسقطون —

مغشياً عليهم ويرموت بأنفسهم من أعالي المستشرفات ويسقطون
مهشمين^١ .

وليس لي أن اقنعك بصحة هذه الروايات فسواء أصدقتهـا أم
كذبتها ، فهي ستبقى صحيحة في قسمها الأكبر تمثل لنا نفسية القوم
الخبية ، وترسم أمامنا صورة عن حبّ أبناء البادية ، ذلك الحب
العفيف العنيف !

سبق القول ان الرواة اخرجوا هؤلاء الشعراء العشاق من
حظيرة البشر وأحاطوهم بهالات القداسة والاحترام ورفعوهم الى
ما فوق الناس . فأخبارهم عجيبة غريبة ، لطيفة مستحبة ، خارقة
صعبة التصديق .

فالمجنون كان يشهق شهقات شديدة عندما يسمع صوت ليلي تنشده
الشعر فيغمى عليه . وكان لا يلبس إلا ثوباً خلقاً ولا يمشي إلا عارياً
وكان يلعب بالتراب ويجمع العظام حوله ... فكانوا يجلسونه
ويقيدونه فيعض لسانه وشفته فيخافون عاينه ويخلون سبيله فيهم
شardاً تائهاً في البراري والصحاري مع الوحش ، لا يأكل إلا ما
ينبت في الحقول من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء اذا وردت
مناهلها حتى طال شعر رأسه وجسده وألفقه الظباء والوحوش
واصبحت لا تنفر منه^٢ .

(١) مضارع العشاق ص : ٢٩٢ - ٢٩٣

(٢) الاغاني ٢ : ٤ - ٥

وكثيراً ما كان يمرّ به أصحابه وخلانُه يكلمونه ويحدثونه
ساعات طوالاً وهو جالس يخط في الأرض ويعبث بالحصى فلا يجيب
ولا يتكلم ١ .

وابنُ ذريح كان يعتبرُ نفسه ميتاً من الأموات بعد طلاقه
حبيبته لبني وكان يقول : هذه جنائتي على نفسي فلا لوم على احد .
وها أنا ذا ميت بما فعلته فمن يردّ روحي إليّ ، وهل سبيل الى لبني
بعد الطلاق ؟ وكان كلما قرّع نفسه وأنبها بلون من التقرّيع
والتأنيب بكى أحر بكاء والصق خدّه بالأرض ووضع على آثارها
ثم انشد الشعر ٢ .

وعندما وصله خبر زواجهما رجلاً من غطفان جزع لذلك
وبكى بكاء شديداً وجاء الى موضع خبائها يمرّ غ خده على ترابها
وينشد الشعر ٣ .

اما جميل فكان اذا طال مكوثه في الشام بعيداً عن بثينة
راسلته مع بعض نساء الحبيّ ، تذكر شوقها اليه ووجدتها به وطلبها
للحيلة في لقائه حتى اذا اجتمعا في موضع يتشاكيان ما في قلوبهما من
لهيب تبعهما ابوها واخوها فيثب جميل وتثور نحوه الشباب في رأسه
ويتنضي سيفه ويشدّ عليهما فيهربان من وجهه ، ولا يكف عنهما إلا
نزولاً على امر الحبيبة المعبودة ٤ . وتتزوج بثينة من رجل غير جميل

(٢) الاغاني ٨ : ١١٧

(٤) الاغاني ٧ : ١٠٥

(١) الاغاني ٢ : ٧

(٣) الاغاني ٨ : ١٢١-١٢٢

فلا ينقطع جميل عن حبها والتعرض لها بشعره حتى ضجَّ قومها منه
وشكوه الى ابيه فقال له :

« يا بنيّ حتى متى انت عمه في ضلالك لا تأنف من ان تتعلق
بذات بعل وانت عنها بمغزل ، تقوم ... اليك فتغرّك بجداها
وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبغلها ما تضمره الحرّة لمن ملكها
فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً ، فاذا انصرفت عنها عادت الى
بعلها ، على حالتها المبذولة . إن هذا لذلّ وضم . ما اعرف اخيب
سهماً ولا اضيع عمراً منك ، فأنشدك الله إلا كففت وتأمّلت امرك ؟ »
فيجيبه جميل :

« والله لو قدرت ان احو ذكرها من قلبي ، او ازيل شخصها
عن عيني لفعلت ، ولكن لا سبيل الى ذلك . وإنا هو بلاء بليت به
حين قد اتيح لي ، وانا امتنع من طروق هذا الحي والالمام بهم ولو
مت كمداً . وهذا جهدي ومبلغ ما اقدر عليه . »

وكان عندما يقول ذلك يبكي ويبكي ابوه معه ومن حضروا
مجلسه جزعاً لما يرون منه !

ولم تقلّ قصة الشاعر عروة بن حزام حبيب عفراء فجيعة عن
جميع الشعراء المذكورين .

فهو ايضاً احد المتيمين الذين قتلهم الهوى : أحب عفراء صغيراً

وبادلتها الحب فلم يشأ عمه ان يزوجه من بل زوجها من رجل أموي
غني رحل بها الى الشام فلاحق بها عروة واخذ يتغزل بها :

يا عُفْرُ إن الحَيَّ قد نقضوا

عهد الاله وحاولوا الغدرا

وهو ككل الشعراء العذريين ، حزين دائم الحزن ، مهموم
كثير الهم ، واجم لا يتكلم ، قلبه في خفقان مستمر ، يغمى عليه
دائماً ولا يستفيق إلا اذا ألقى على وجهه خمراً كانت قد اهدته
اليه عفراء^١.

ولقد حاول الأطباء ومهرة السحرة والعرافين عبثاً ان يشفوه
من مرضه. فلقبه ابن مكحول عرّاف اليمامة وسأل عن سبب اوجاعه
أبيه خبيل أم جنون ؟ فأجابه :

فما بي من خبيل ولا بي جنة

والكن عمي يا أخى كذوب

اقول لعرّاف اليمامة داوئي

فانك ان داويتني لطيب^٢

ولما عجز الأطباء عن مداواته اخذه البكاء والهلاس حتى قال
الناس : « والله إنه لمسحور ، إن به جنة ، إنه لموسوس^٣ » .

(١) الأغاني ٢٠ : ١٥٤

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) ديوان عروة بن حزام واخباره - مخطوطة

ففي هذه الحكايات ، وقد حاكت أكثرها مخيلة الرواة ،
أحزان الحبيب التاعس الشقي في حبه ، وشجون النفس البدوية
الوالهة التي لم تعرف في حبها خداع أبناء الحضارة وتبذلهم في حبهم
الناعم المترف !

ويبدو هذا الشقاء نشيداً عذباً في افواه هؤلاء الشعراء يتغنون به
في اشعارهم مستطيين الأذى في معاناة حبهم :

|| يقولون ليلى عذبتك بحبها
|| ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب !

واذ يسمع المجنون بان زملاءه اصابهم شيء من الضعف في حبهم ،
يصرخ من اعماق نفسه :

تشكسى المجنون الصباية ليتني
تحملى ما القاه من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذة الحب كلها
فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي !

هذه اللذة ، لذة العذاب في الحب ، لم يعرفها شاعر كما عرفها قيس
المجنون . كانت نفسه تشاق الى البكاء وتستطيه كاشتياق الرمال
المحرقة الى قطرة الغيث الباردة ، فلا يرى حمامة تنوح على أليفها دون
ان يوبخ نفسه لتغافله عن مجاراتها في البكاء :

لقد غرّدت في جنح ليل حمامة
على إلفها تبكي وإني لنائم

كذبتُ وبيتَ الله لو كنت عاشقاً
لما سبقتني بالبكاء الحمايمُ

وكان اذا اشتد شوقه الى ليلى يمرّ على آثار المنازل التي كانت
تسكنها فتارةً يقبلها وتارةً يلصقُ بطنه بكشبان الرمل وينقلب في
حافاتهما وتاره يبكي وينشد :

أمرّ على الديار ديار ليلى
أقبلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حُبُّ الديار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا

والتوباد ! جبل نجد المحبوب ! كم له من ذكريات طيبة في قلب
شاعرنا ! كم صرف الليالي مشياً على الاقدام ، قاطعاً الفيافي والأودية
للوصول اليه ، حتى اذا رآه تنفّس تنفّسه خرجت معها فلذة من
فلذات فؤاده وصاح منشداً :

واجهشت للتوباد حين رأيته
وكبّر للرحمن حين رأيته
وأذريتُ دمع العين لما عرفته
ونادى بأعلى صوته فدعاني

ولكنه ما كان ليراه او يعرفه فلطالما كان يتيه حتى يصل الى

بلاد الشام فيسأل عن التوباد فيضحك الناس منه ١ .

ونجد ! أغنية حلوة في قلب الشاعر وبسمة طرية في فمه يكرره
في أكثر أبياته الشعرية ترغماً به وتلذذاً بساكنيه :

رعى الله من نجد أناساً أحبهم
فلو نقضوا عهدي حفظت لهم ودّي
سقى الله نجداً والمقيم بأرضها
سحاب غوادٍ خالياتٍ من الرعد ..
أحنّ إلى نجدٍ فيا ليت أنني
سقيت على سلوانة من هوى نجدٍ
ألا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه
وأرواحه إن كان نجدٌ على العهد !!

ونسيم نجد ينعش منه الفؤاد ، فهو حبيب إلى قلبه لأن مسراه
من عند الحبيب :

إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا
وجدت مسراها ومبسمها برداً
.....
أيا جبلي نعمان بالله خلياً
سبيل الصبا يخلص إليّ نسيمها

أجدُ بردها أو تشف مني حرارة
على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمها
فإنَّ الصَّبَا رِيحٌ إذا ما تنسَّمت
على نفسٍ محزونة تجلَّت همومها

وبلغ من شدَّة حبه وهيامه ليلى أن سدَّت عنه ابواب العالم
والدنيا فلم يرَ غيرها في العالم حتى قيل فيه :

« كان إذا نظر الى الوحش يقول ليلى ! وإن نظر الى الجبال
يقول ليلى ! وإن نظر الى الناس يقول ليلى ! حتى إذا قيل له ما
اسمك ؟ وما حالك ؟ يقول ليلى ' .. »

ورافقه خيال ليلى في حلَّه وترحاله حتى إذا قام يُصلِّي يَمَّ
وجهه نحوها ، أو رآها تسير لحقها حيث تذهب وإن خالف بذلك
قواعد الدين والايان :

أعدُّ الليالي ليلة بعد ليلة
وقد عشت دهرًا لا أعدُّ الليالي
أراني إذا صليت يمت نحوها
بوجهي وإن كان المصلَّى ورائها
وما بي إشرارك ولكن حبها
كعود الشجا أعي الطيب المداويا

X
أحب من الاسماء ما وافق اسمها
وأشبهه أو كان منه مُدَانِيَا

وتحمّل في سبيل حبه الاهانات والعذاب اشكلاً وألواناً حتى
تمنى الموت تضحية لذلك الحب :

رضيت بقتلي في هواها لأنني
أرى حبه حتماً وطاعتها فرضاً
إذا ذكرتُ ليلي أهِيمُ بذكرها
وكانت مُنى نفسي وكنْتُ لها أَرْضِي
وإن رمتُ صبراً أو سلوّاً بغيرها
رأيتُ لكلّ الناس من بعدها بغضاً

وتوصل ، في سبيل الوصول اليها والوقوف ببابها ، الى ان وضع
في عنقه سلسلة ، وقادته عجوز كأنه سائل حقير وهو ينشد :

معذبتني لولاك ما كنت سائلاً
أدورُ على الأبواب في الناس عارياً

والغريب في الامر ان هذه المعذبة ما كانت لتريد لحبيبها
العذاب . فحبها له لا يقل عن حبه ، وكلفها به أشد من كلفه بها .
ولكن ماذا تعمل بتقاليد القوم الاجتماعية ؟ وكيف يسمح قيس
لنفسه ان يشهر بابنة عمه هذا التشهير المعيب ؟ بل كيف يتغنى بها في
بوادي الحجاز فتطبق اخبارهما بلاد الشام ويصبحان مضغة في افواه
العرب وسخرية فتيانهم وفتياتهم !

وكم ناديتُ بين خيام ليلى
وكم في جها مثلي ينادي
انا المُنْصِي فجودي لي بوصل
فقد زاد السَّقامُ الى السَّهادِ
فما أحلى التَّهْتِكُ في هواها
حماها الله من كيد الأعداي ...

وأخيراً يبلغ به اليأس مبلغاً لا يطاق وتضيق به الدنيا فلا
يعرف ماذا يفعل والى من يلتجئ . ويحاول ان يعرف ما ذنبه ولم
اصبح على هذه الحالة المحزنة ، فلا يصل الى جواب حاسم مُرضٍ ،
فيستولي عليه القلق ويغمره ضباب اليأس والحيرة فلا يجد منفذاً
ليأسه وشجونه سوى الشعر :

فوالله ثم الله إني لدائبُ
أفكرُ ما ذنبي اليها وأعجبُ ؟
ووالله ما ادري علام قتلْتَنِي
وأَيَّ اموري فيك يا ليلَ اركبُ ؟
أأقطع حبل الوصل فالموتُ دُونَه
أم أشربُ رنقاً مِنْكُمْ ليس يشربُ ؟
أم أهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً
أم اصنعُ ماذا ؟ أم أبوح فأغلبُ ؟

X
فأيهما يا ليلَ ما ترتضيه
فاني لمظلوم واني لمعتب ..

فهذه السلسلة الطويلة من الأسئلة يتبع واحدتها الآخر تنبئ عن
نفس الشاعر الحائرة المتعطشة الى الوصول لحل يهدي ثورتها ويقنع
به الحبيب المعبود ... لكن قيساً كزملائه الشعراء العشاق لن
يتوصل الى ذلك الحل النهائي في حبه . وستبقى لذته الكبرى ونشيد
العذب في ذلك القلق المستولي عليه المستحوذ على شعوره يسيره في
طريق العبودية التي ارادها لنفسه مختاراً ..

واذا كنا قصرنا الكلام على المجنون وحبه دون الشعراء الآخرين
فلأن سياق البحث اضطرنا الى ذلك . والحقيقة ان هؤلاء الشعراء
الغديرين كانوا جميعاً نسخة واحدة بعضهم عن البعض . فاذا كان
المجنون صادقاً في حبه لابنة عمه ، فزملاؤه لم يكونوا أقل منه وفاء
في حبه وان كانت اخبارهم الحبية اقرب الى المنطق والعقل من
اخبار المجنون !!

فابن ذريح ، وقصته مأساة إنسانية من الطراز الاول ، تتجاذبه
في حبه عاطفتان غنيفتان لا يستطيع تفضيل الواحدة على الأخرى :
عاطفة حب الأم الحنون وعاطفة الزوجة الصادقة :

« يا قيس لا تطع أباك فتَهْلِك وتُهْلِكُنِي .. »

« ما كنت لأطيع احداً فيك ابداً .. »

ويحلف الأب الا يَكِنّه سقف بيت أبداً حتى يطلق ابنه لبني .

X
فيخرج ويقف في حرّ الشمس فيجبي قيس فيقف بجانبه فيظله بردائه
ويصلي هو بحرّ الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل الى لبني
فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه ...

ويدوم تمثيل الدور سنوات حتى يقنع قيس اخيراً بطلاق امرأته
فتسفر الرواية عن فاجعة تنفجر لها عبقرية الشاعر المسكين فيستطير
عقله ويلحقه مثل الجنون ويأخذ يبكي لفراق إلفه وحبيبته وينشج
أحرّ نشيج ...

واني لمفني دمع عيني بالبا
حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي
بكفّيك الا أن ما حان حارن
.

فان يجربوها او يحل دون وصلها
مقالة واش او وعيد أمير
فلم يمنعوا عيني من دائم البكا
ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري

X وكانت لبني مديدة القامة ، شهلاء ، حلوة المنظر والكلام ^١ .
وفية شديدة الوفاء في حبها لقيس . فكان من الطبيعي ان يخلص لها
زوجها في حبه إخلاصاً كلفه حياته ... اخذ يُلَمَّ بها سرّاً من قومه
بعد طلاقها وزواجها من رجل آخر غيره حتى شكاه ابوها الى
معاوية فأهدر دمه ^٢ ، ولكنه لم ينقطع عن زيارتها والتغزل بها :

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خُلُقِنَا
وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافاً فِي الْمَهْدِ
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا فَاصْبَحَ نَامِيّاً
وَلَيْسَ إِذَا مُتْنَا بِمُنْفَصِمِ الْعَهْدِ
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَيَّ كُلِّ حَادَثٍ
وَزَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَالْحَدِّ

وترقّ أبياته في هذه القصيدة الى درجة يخيّل معها للقارىء ان
الشاعر ليس من صدر الاسلام وليس هو ربيب البوادي والقفار وأن
حبيبتة التي يتغزل بها ليست تلك البدوية الحسنة التي عرفت حرّ
الصحراء وقرّّها وذاقت حلوها ومرّها ... بل هي تلك التي :

يَكَادُ حَبَابُ الْمَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا
إِذَا اغْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ

(١) الاغاني ج ٨ : ١١٢

(٢) الشعر والشعراء ص : ١٤٧

ولو لبست ثوباً من الورد خالصاً
تحدّش منها جلدها ورق الورد
يثقلها لبس الحرير لينها
وتشكو الى جاراتها ثقل العقد
وأرحم خديها اذا ما لحظتها
حذاراً للحظي أن يؤثر في الخد^١

هي نفس الشاعر الحساس الذي لا يحسّ إلا بالحبيب !
هي عين الشاعر البصير الذي لا يرى إلا جمال الحبيب !
هو خيال الشاعر المبدع الذي يخلع على الانسان ثوب الألوهية
فيخلق من لبني المرأة جنية من جنيات الأساطير .
تحدّش جلدها المجلي قطرات الماء العذب !
وتجرح جسدها البض اوراق الورد الناعم !
ويثقل عليها عقدها اللؤلؤي الوضاء !
ويؤثر في خديها الموردين نظرات عشاقها الملتهمه !

ولا يقف حزن الشاعر على حبيبه عند حد من الحدود فهو اذ
يعرف بارتحال قومها بها يتبعها ملياً فيمنعه ابوها من المسير معها
فيقف ينظر الى القوم الطاعنين ويبكي حتى يغيبوا عن عينه فيكرّ
راجعاً وينظر الى أثر خفّ بغيرها فيكبّ عليه ويقبله ويقبل

(١) عيون الاخبار ٤ : ١٤٥ والاغاني ٨ : ١٢٠

موضع مجلسها وأثر قدمها حتى يضح^ك منه قومه فيلوموه على تقبيله
التراب فيقول :

وما أحببت أرضكم ولكن
أقبل^ك أثر^ك من وطىء التراب
لقد لاقيت^ك من كلني بلبي
بلاء ما أسيغ به الشراب
إذا نادى المنادي باسم لبني
عميت^ك فما أطيق له جوابا ...

X

ويتذكرها في ليلة من لياليه المحمومة فيتأمل في مضجعه تامل
الملسوع الكسير الفؤاد فيثب حتى يأتي موضع خبايا فيتمرغ فيه
ويبكي ويقول :

بت^ك والهم^ك يا لبني ضجيعي
وجرت^ك مذ نأيت^ك عني دموعي
وتنفست^ك إذ ذكرتك^ك حتى
زالت^ك اليوم^ك عن فؤادي ضلوعي
أتناساك^ك كي يري^ك فؤادي
ثم يشتد^ك عند ذاك^ك ولوعي
يا لبني فدتك^ك نفسي وأهلي
هل لدهر^ك مضى لنا من رجوع ??

و كيف يرجع له الدهر الغابر وقد زوجه اهله من امرأة سواها
فأرسلت لبني تسأله عن سبب زواجه من غيرها وهو يدعي حبها
فأجابها :

« أن عينه ما اكتحات بالمرأة التي تزوجها وانه لو رآها في
نسوة ما عرفها ، وانه ما مدّ يده اليها ولا كشف لها عن ثوب » .
وسواء اصدق قيس في قوله هذا او لم يصدق فالذي يتضح من
شعره الغزلي في لبني كافٍ للتدليل على شدة هيامه وصدق حبه
للمرأة الاولى التي حكته في قلبها فجاء في حكمه عليها وعلى نفسه
وكانا ضحيتين من ضحايا هذا الصراع القائم ، الى يومنا الحاضر ، بين
العاطفة الحميمية والمصلحة الغرّارة ! وسيبقى هذا الصراع العنيف
مستمراً في شدته ما بقيت في هذه الانسانية قلوب تحفق وعواطف
تتأجج !

وسيقع من ضحايا الف قيس وقيس والف لبني ولبني لأن
القلوب المكلومة المتألمة ، كالأنهر المدارة الصخابة ، تحطم في
طريقها الى محبتها كل ما يعترضها من اوساخ الدنيا وحوازرها ،
واذا لم تستطع الى ذلك سبيلاً خرّت صرعى آلامها وضحية نضالها !

وقيس كالمجنون ، كجميل ، كعروة ، كلهم وقعوا صرعى
نضالهم في حبهم وذاقوا المرّ انواعاً في ذلك الحب واكتووا بناره
فجاءت اشعارهم صادقة في التعبير عن شعورهم الفياض ، صحيحة في

X بث شكواهم الحزينة ، رقيقة كركرة حبهم !

كلهم أراد التخلص من هذه الحياة لأن الحياة كافرة بدون
الحبيب !

وكلهم تمنى الموت بعد زورة تزورها الحبيبة :

ليت لبنى تعودني ثم أقضي !

فيا ليت اني مت قبل فراقها

وهل ينفعن بعد التفرق ليت !

وكلهم حزين دائم الحزن ، ملتان صادق اللوعة ، يعزيه الناس
فلا يريد أن يتعزى ، ويرشده آله وذووه الى ما فيه خيره وصلاحه
فلا يقنع ولا يرجع عن غيئه :

وقال الأمرون تعز عنها

فقلت نعم اذا حانت وفاتي ..

ولعل تلك الرواية التي تروى عن المجنون من ان آله ، لما يئسوا
من إقناع ابي ليلى بتزويج ابنته من قيس ، ذهبوا به الى مكة
ليتعلق باستار الكعبة على الله يمن عليه بالشفاء . فلما صار بمنى سمع
صائحاً يصيح : يا ليلى ! فصرخ صرخة ظنوا ان نفسه قد تلفت
وسقط مغشياً عليه ... ولما وصلوا الى مكة امره ابوه ان يتعلق
باستار الكعبة ويسأل الله ان يعافيه من حب ليلى . فتعلق قيس
باستار الكعبة وقال :

« اللهم زدني ليلي حباً وبها كلفاً ولا تنسني ذكرها ابداً ١ »
اقول لعل هذه الحكاية ، وامثالها كثير عن هؤلاء العذريين ،
توضح لنا شيئاً من تعلق هؤلاء العشاق بحبهم وتمسكهم بهذا الحب .
والغريب ان هؤلاء العشاق كانوا يزدادون تمسكاً بحبهم وتعلقاً
بحبيبتهم كلما ازداد الناس في لومهم وتأنيبهم :

يقرّ لعيني قريبها ويزيدني
بها عجباً من كان عندي يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته
وتلك لعمرى توبة لا اتوبها
وعندما كانوا يعزرون جميلاً بقولهم : ابتعد عنها فستسلوها
كان يجيب :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة
رويد الهوى حتى تغب لياليا
لحى الله اقواماً يقولون اننا
وجدنا طوال النأي للحب شافيا ٢
وجميل كان شاعراً فصيحاً ، مقدماً بين الشعراء حتى ان كثيراً
كان يفضلونه على نفسه . وشهد له ابن سلام بقوله : كان لكثير في

(١) الأغاني ١ : ١٧٥ وتزيين الاسواق ١ : ٧٠

(٢) محاضرات الادباء ج ٢ : ٣

X
النسيب حظ وافر وجميل مقدّم عليه وعلى اصحاب النسيب في
النسيب ١ . وكان كثير يبدأ انشاده دائماً بشعر جميل وقد سأل
الشاعر نسيب مرّة : اجميل أنسب أم انت ؟ فقال : وهل وطناً
لنا النسيب إلا جميل ٢ ؟

وقالوا ايضاً : كان جميل صادق الصباية والعشق ولم يكن كثير
بمعاشق ولكنه كان يتقول ٣ .

والحقيقة ان جميلاً ما كان ليسلو حب بثينة او يفتر في ذلك
الحب او يستبدل به حب امرأة اخرى رغم التفاف التمتيات العذريات
حوله وفي ذلك يقول :

حلفتُ لكِما تعلميني صادقاً

وللصدق خير في الامور وانجح

لرؤية يوم واحد من بثينة

الذ من الدنيا لدي وأملح

وقال :

فلرب عارضة علينا وصلها

بالجد تخطه بقول الهازل

فأجبتها بالرفق بعد تستر

حي بثينة عن وصالك شاغلي

مثال في صفة جميل
بثينة في حبه

(٢) الاغاني ٧ : ٨٠

(٤) وتروى : في القول

(١) الاغاني ٧ : ٧٩

(٣) الاغاني ٧ : ٧٩

لو كان في قلبي ١ كقدر قلامة
فضلا وصلتك او اتتك رسائي
ولباطل ممن أحب حديثه
اشهى إلي من البغيض الباذل

جبال اطب

صادت فؤادي يا بشين جبالكم
يوم الحجون واخطاتك حبائي

دعيت في

ومثيتني فلويت ^{فكذبت} ما منيتني
وجعلت عاجل ما وعدت كاجل

كان عدي ان تن بالوجه
وكن تأخرت

وتشاقلت لما رأت كلني بها
أحبب إلي بذاك من متشاقل ١

البي

الحر

العوام

وأطعت في عواذلا فهجرتني
وعصيت فيك وقد جهدت عواذلي

حاولتني لأبت حبيل وصالكم
مني ، ولست وإن جهدت بفاعل

فرددتهن وقد سعين بهجركم
لما سعين له بأفوق ناصل

لانه لم - خبرني

يعضضن من غيظ علي انا ملا
ووددت لو يعضضن ضم جناادل

(١) وتروى : صدري

ويقلن إنك يا بشين بخيلة
نفسى فداؤك من ضنين باخل^١

فمثل هذا الشعر الغزلي الرقيق مفخرة في جبين الادب العربي القديم ، ومثل هذا الشعر يمكن بل يجب ان يدرسه طلاب الادب ويفاخروا به ادباء الفرنجة الغزليين حتى الشعراء المحدثين منهم . وان مثل هذه القصيدة لكثير عند جميل اود ان اثبت بعضها هنا لتكون شاهداً ناطقاً بما لهذا الشاعر العربي من إرهاب في الحس وصدق عميق في الحب ، ذلك الحب الذي كاد يقتله لشدة :
 الحب

وكان طارقها على علل الكرى
والنجم وهناً ، قد دنا لتغور

يستاف ريح مدامة معجونة
بذكي مسك ، او سحيق الغنبر

اني لأحفظ غيبكم ويسرني
اذ تذكرين بصالح ان تذكرني

ويكون يوم لا ارى لك مرئلاً
او نلتقي فيه علي كاشهر

يا ليتنى القى المنية بغتة
ان كان يوم لقائكم لم يقدر

او استطيع تجلداً عن ذكركم
 فيفنيق بعض صبايتي وتفكري
 لو قد تجن كما أجن من الهوى
 لعذرت او لظلمت إن لم تعذر
 لا تحسبي أني هجرتك طائعا
 حدث ، لعمرك ، رائع أن تهجري
 فلتبكي الباكيات وإن أبح
 يوماً يسرك معلناً لم أعذر
 يهواك ما عشت الفؤاد فان امت
 يتبع صداي صداك بين الأقبر ...
 إني اليك بما وعدت لناظر
 نظر الفقير الى الغني المكث
 تقضى الديون وليس ينجز موعداً
 هذا الغريم لنا ، وليس بمعسر
 ما انت والوعد الذي تعدينني
 إلا كبرق سحابة لم تمطر

هجرتك طائعا
 فلتبكي الباكيات

ألا وإني لا أرى في هذه الابيات الجميلة ، معنى مبتكراً لم
 يطرقه شاعر غير جميل . كذلك هي خالية من أية فكرة فلسفية
 عميقة في معناها ، غريبة في مغزاها ، تتطلب من القارئ ، إعمال الفكر

X وتقلب النظر لفهمها وحل رموزها ، وعلى ذلك يقوم جمالها . إن
سلاسة الفاظها وانسجامها انسجاماً طبيعياً من ناحية ، وسداجة معانيها
وصدقها وإخلاصها من ناحية ثانية يجعلها حبيبة الى قلب الاديب
الدقيق الشعور المرهف الاحساس !

ومن المستحسن هنا ان نشير الى ان هؤلاء الشعراء العذريين ،
وكلمهم ربيب البوادي والصحاري ، لم يتنعموا بما تنعم به
زملاؤهم في حواضر الاسلام المختلفة ، في الشام والعراق ومصر
وغيرها من بلاد المسلمين ، من الخيرات العظيمة التي فاضت عليهم إثر
الفتوحات العظيمة . وحرمانهم هذا ، أبعدهم عن الاحزاب السياسية
فلم تتحرك عاطفتهم في نظم الشعر السياسي بل انقطعوا الى نوع
واحد من الغزل العفيف ، الصادق ، الساذج الذي غنا وترعرع في
بوادي الحجاز ووهاده وتفشى بينهم تفشياً سريعاً حتى اصبح فناً
رائجاً من فنون الشعر ..

وليس غريباً ان يجيء هذا الشعر الغزلي متشابهاً في اكثره
وان اختلف عدد قائله . فجميعهم كما رأينا ابناء وسط واحد ،
بعيد عن ضوضاء المدنية الاسلامية الجديدة وحياتها الصخبية ، بعيد عن
حياة البذخ والترف والمجون ، تلك الحياة التي عرفها ابن ابي ربيعة
وغرف منها غزفاً كبيراً ، ساعده على ذلك شباب ريان وجمال فتان
ومال وفير وصيت عريض ! لم يعرف العذريون هذا اللون من ألوان
الحياة بل انكشوا على نفوسهم وانزوا في باديتهم ووضعوا هدفهم

الاعلى في حياتهم خيال امرأة من النساء ، فراحوا يتغنون بها في شعرهم
ليلهم ونهارهم .. جعلوا الحب غاية من غاياتهم في الحياة وقدسوه
وعبدوه ثم جسموه في شخص ليلي ولبنى وبثينة وعزّة وعفراء فرفعوا
لهؤلاء النساء تماثيل في قلوبهم ، يحرقون امامها شموع شباهم الذابل ،
ويذيبون على اعتبارها عصارة قلوبهم المتألّمة المنسحقة ! لم يأتوا بالجديد
المبتكر في شعرهم الغزلي ، ولم يتفننوا او يتدعوا في ذلك الحب
الجديد الغنيف ، فلم يضيفوا الى اوتار الشعر العربي وترّاً جديداً بما
لهذه الكلمة من معنى واسع صحيح !

ولكنهم كانوا سباقين الى حصر شعرهم في فن واحد من فنون
الشعر . كان الغزل قبلهم تصنعاً وتكلفاً فأصبح في زمنهم خليجة قوية
من خليجات النفس الصادقة ، وعاطفة جريئة تثن وتألّم ! لم يقم في
العصر الجاهلي شعراء يحملون لواء الغزل وينادون باسمه في كل مجتمع
وناد كما فعل اصحابنا العذريون . فامرؤ القيس ، وغزله مشهور ، لم
يكن ليتعدّى بشعره الغزلي وصف اللحم والدم والشهوة الحسية التي
تتأكل جسمه والتي يبدو اثرها في كل بيت من ابياته الفاحشة ...
كذلك قل في بقية الشعراء الجاهليين كالأعشى والنابغة الذبياني
وغيرهما من الذين قصدوا ان يتغزلوا فجاء غزلهم حسيّاً ماجناً .

والحقيقة ان المرأة في الشعر الجاهلي لا تبدو افضل من الناقبة .
فطرفة خص ناقته بعشرات الأبيات ووصفها وصفاً دقيقاً متغزلاً
بكل عضو من اعضائها دون ان ينسى بريق عينيها وصفاءهما ، كذلك

قل في فرس امرىء القيس

ونحن لا ننكر على هؤلاء الشعراء الجاهليين تغزلهم بما كانوا يحسونه ، وانما نقرر حقيقة يعرفها كل من يدرس الأدب الجاهلي وهي ان الشعراء الجاهليين لم ينظروا الى نفس المرأة ولم يدرسوا عراطفها او يخللوا خبايا قلبها الحيثة ، بل اكتفوا بوصف اعضائها الجسدية وصفاً حسيّاً لم يختلف عن وصفهم لنياقهم وأفراسهم اختلافاً كبيراً .

ونحن لا ندعي ان الشعراء الاسلاميين درسوا المرأة درساً تحليلياً فكشفوا عن نزعات نفسها المختلفة وحلّلوا عواطفها تحليلاً نقدياً نفسياً دون ان يهتموا بجملالات جسدها او يتغزلوا بهذه الجمالات الحسية غزلاً غير برىء (حتى العذريون منهم) . لا ندعي شيئاً من هذا ، فالأدب العربي ، في عصوره المختلفة ، لم يستطع ان يتجرد عن المادية تجرداً محسوساً كما يقرر اكثر مؤرخي الأدب العربية ولكن الاسلاميين عرفوا ان ينظروا الى المرأة نظرة فيها من الإنسانية والنبل وعراطف الحب الصادق ما لم يحلم به الجاهليون . لقد استبدلوا بهذه الخشونة الجاهلية رقة اسلامية اكتسبوها عن طريق الدين الجديد والمحيط الجديد . لقد اصبح الشاعر الاسلامي ، باحساسه المرفه ، وشعوره الدقيق انساناً كاملاً يشعر ان المرأة هي مخلوق لا يستغني الرجل عنه ولا تطيب نفسه بدونه ، فجاء شعره عابثاً بهذا الاحساس

(١) راجع حديث الاربعاء للدكتور طه حسين

وذلك الشعور عبوقاً هو من ابرز صفات هذا الشعر وأصح مميزاته .

عذرية الشعراء

والذي يعجب له حقاً ان يخرج الرواة برواياتهم الكثيرة الملفقة هؤلاء الشعراء المحبين من بين العشاق الانسانيين الحقيقيين فيصوروهم لنا كأنهم عاشوا في غير هذا الكوكب ، لم يحبوا حباً انسانياً ، كما أحب ولا يزال يحب كل ذي نفس حساسة . والأعجب من هذا ان عصرهم الذي عاشوا فيه هو عصر عرف فيه الشعراء عامة ، الحب بألوانه الترايبية وتمرغوا في حماته ما شاء لهم فسقهم وفجورهم ووصفوا كل ذلك في شعرهم فجاء صورة صادقة عن ذلك العصر ...

وانت لا تكاد تطالع كتاباً من امهات الكتب الأدبية العربية القديمة دون ان تصطدم بأثر هذه الحياة الصاخبة، وهذه المادية الصلبة التي تطفئ على تفكير الشعراء والأدباء فتلفهم بعباءتها السوداء لفساً محكماً ، يضيق عليهم انفسهم فلا يستطيعون التحليق الى فوق المادة .

ولأضرب لك بعض الأمثلة عن المثل الجمالية التي تعلق بذهن المطالع عن بعض الأدباء العرب الأقدمين . يقول الجاحظ في احدى رسائله : « إن الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن احسن . والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهى »

ويتضح من قراءه رسائل الجاحظ في النساء أنه اغما يهتم بصفات النساء الخارجية دون الداخلية. وهكذا قل في أكثر الكتب العربية القديمة وأهمها : العقد ، وعيون الأخبار ، ونهاية الأرب ، ومواسم الأدب ، ومحاضرات الأدباء ، والموشح ، والأغاني النخ وكثير غيرها ، وكلها تطفح بالأحاديث عن سوء نيّة النساء . فالرواة يلصقون بهنّ أشنع التهم كالخيانة والغدر والكيد واللؤم .

« النساء شرّ كلهن وشرّ ما فيهن قلة الاستغناء عنهن »

« لا تشق بامرأة ولا تغترّ بمال وان كثير ! »

« النساء حبائل الشيطان ^١ »

وقال ابن عباس :

« أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء ^٢ »

ومثل هذه الروايات عن النساء كثير ^٣ لا يهمننا الاستشهاد بها للتدليل على نظرة القوم الاجتماعية في المرأة ، بقدر ما يهمننا الإشارة الى هذه « المادية » التي تظهر في الأدب العربي ظهوراً بارزاً في اوصاف الشعراء وروايات الأدباء . فأحسن امرأة هي تلك التي :

« لَطَفَتْ كَفَّيَّاهَا ، وَخَدَلَتْ (اَمْتَلَأَتْ) سَاقَاهَا ، وَالتَفَّتْ فِخْذَاهَا ، وَعَرَضَتْ وَرْكَاهَا ، وَنَهَدَتْ دِيَّاهَا ، وَسَالَ خَدَّاهَا ^٤ »

(١) المستطرف ص : ٢٨٧ وفيه من امثال هذه الروايات شيء كثير

(٢) روضة المحبين ص : ٢١٤ (٣) محاضرات الادباء ٢ : ١٣٩

(٤) اخبار النساء ص : ٧٠ ، محاضرات الأدباء ٢ : ٢٤

واذا راح الشاعر يصف امرأة قال :

« وجهها كضوء البدر ، وخدها كجني الورد ، ولسانها ساحر ،
وطرفها فاتر ، ضمها يهيج اللوعة ، ونطفها ينقع الغلة ، تنهض بقدر
كالقضيب ، وتدبر بكفل كالكتيب ، ثديها يرنو الى ذقنها ، شعرها
لاحق بذيلها في مثل سواد ليلها ، تغرها كاللؤلؤ النظيم يجلو دجا الليل
البهيم ، ريحها كالراح المعتق ، ختامه كالمسك المفتق ... صحيحة
الحدقة ، مريضة الجفون ، كأن ساعدها طلعة ومعصمها جمار
وأصابعها مداري فضة . وكان نحرها من ساج وبشرتها زجاج
وسرتها من عاج ١ ... »

فجميع هذه الصفات مادة حسية لا تتعدى جسد المرأة وجمالها
الخارجي . ومثلها الكثير يملأ كتب الأصول الأدبية . ولست
لأزعم أن الأدب العربي القديم مجرد عن الروحانيات تجرداً تاماً ،
ولكن الباحث لا يستطيع تجاهل هذا الطغيان المادي الذي يسيطر
على الأدب فيكبله بقيود ثقيلة جامدة ويقف به عند حد محدود من
سمو التفكير وتحليق الخيال . . اقول هذا وانا عالم ان الشعراء
العذريين خالفوا زملاءهم الحضريين من حيث سمو تفكيرهم ونقاوة
اشعارهم وتجردهم ، بعض التجرد ، عن الحب المادي الحسي . اقول
« بعض » التجرد وأعني ما اقول . فليس لنا ان ندعي ان هؤلاء
العذريين كانوا من طينة الملائكة ، وليس لنا ان نضعهم فوق البشر

X
وهم انما كانوا يعيشون بقلوب تتفجر إحساساً ويتدفق منها شعور
صادق بالحب والحياة !

هؤلاء الشعراء احبوا كما يحب كل عاشق صادق العشق ، وطلبوا
في حُبهم كل ما يطلبه الحب الانساني ، واثارت في قلوبهم الوالهة
شهوات دموية أقضت مضاجعهم في ليااليهم الحمراء المحمومة فتزوج
منهم من استطاع الى ذلك سبيلاً ، ومن لم يستطع مات شهيد حبه
وهو يطلب لقاء الحبيبة !

وشعر هؤلاء العذريين ، على نقاوته ، وعذوبته وطهارة معانيه
احياناً وبعده عن رائحة اللحم والدم ، لا يستطيع ان يتجرد تجرداً
تاماً عن التحسر الى وصال الحبيبة وعن الأوصاف الحسية الجمالاتها

الجدية : عروة

فيا ليت كل اثنين بينهما هوى
من الناس قبل الحشر يلتقيان
فيقضي محب من حبيب لبانة
ويرعاهما ربي فلا يُريان !

هذا ما يتمناه عروة وقد عرف لذة الوصال ثم يكمل في وصف

عفراء .

كانّ وشاحيها اذا ما ارتدتها
وقامت ، عنانا مهرة ، سلسان
يغص بأبدان لها ملتقاهما
ومتناهما رخوان يضطربان

فويلي على عفراء ويل كأنه
على النحر والأحشاء حشد سنان
ألا حبّذا من حب عفراء ملتقى
نعم وألا لا حيث يلتقيان

✱

تمنيت من وجدي بعفراء انني
إزار لها تحت القميص يمان !

وقيل إنه اراد بقوله ملتقى نعم والا لا شفيتها لأن الشفتين
يلتقيان ^١ . فالذي يجب ان نفهمه من عذرية هؤلاء الشعراء في حبهم ،
هو تفانيهم في هذا الحب وشدة تدهمهم به وبذل كل غال ورخيص
لديهم في سبيله ، اكثر من تجرّدهم عن حب الجسد وملاذه وابتعادهم
عن الحبيب وهجرهم اياه هجراً جسدياً مقصوداً .

ولرب معترض يقول : وماذا تفعل بالروايات الكثيرة التي تؤكّد
عذرية هؤلاء الشعراء وهي تملأ كتب الأدب ؟ الا تبرهن على انهم
كانوا يحبون من اجل الحب فقط ؟ الا تؤكد ان هؤلاء الشعراء
كانوا يمثلون القناعة المجردة من كل حس مادي او حب جسدي ؟
فهل نرمي بها عرض الحائط ؟

وماذا نفعل بمثل هذه الأبيات الجميلة التي تطفح منها رائحة الحب
الزكي المضمخ بأنفاس الطهر والعفاف ؟!

(١) ديوان عروة وحزام - مخطوطة

X
- وإني لأرضى من بشينة بالذي
لو أبصره الواشي لقرت بلباسه
ببلا وبالألا استطيع ، وبالمني
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى إذ الحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله !!

وهذا ليس كل شيء بل هناك ما يدعم هذه الأبيات ويؤكد
ان جميلاً كان طاهر الذيل ، عفّ الضمير واللسان ، لم يهتم بريبة
قط . ولا ارى بأساً في سرد بعض هذه الروايات ومناقشتها إتماماً
للبحث واليك بعضها :

حضرت جميلاً الوفاة بعد ان اعتل فجاءه العواد مستفسرين فاذا به
وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ، يعترف لأحد الحاضرين (ابن سهل)
بقوله : يا ابن سهل ! ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن
ولم يقتل النفس ولم يسرق؟ يشهد ان لا إله إلا الله؟

قال ابن سهل : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة . فمن هذا الرجل ؟
قال : انا . قال ابن سهل : والله ما احسبك سلمت وانت
تسبب منذ عشرين سنة ببشينة . قال : لانا لني شفاعة محمد ،
صلى الله عليه وسلم ، واني لفي اول يوم من ايام الآخرة وآخر
يوم من ايام الدنيا ، إن كنت وضعت يدي عليها لريبة ١ واكثر ما

(١) وفیات الاعيان ص : ١١٦ - ١١٧

كان مني ان اسند يدها الى فؤادي استريح ساعة . وأكّدت بثينة
هذه العذرية في حديثها الجميلة المغنية ^١ فقالت :

« والله ما أرادني جميل ، رحمة الله عليه ، بريبة قط ، ولا حدثت
انا نفسي بذلك منه ^٢ . وتشهد جميلة ببثينة شهادة تدعم هذا القول
فتقول : « كانت بثينة صدوقة اللسان ، جميلة الوجه ، حسنة البيان ،
عفيفة ^٣ » . وقالوا إن بثينة دخلت مرة على عبد الملك بن مروان
فقال لها : يا بثينة : ما ارى فيك شيئاً مما كان يقوله جميل . فقالت
يا امير المؤمنين إنه كان يرنو اليّ بعينين ليستا في رأسك . قال
فكيف رأيتيه ^٤ في عشقه ؟ قالت كان كما قال الشاعر :

لا والذي تسجد الجباه له
مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها
ما كان الا الحديث والنظر

ورغم أن جميلاً يقضي ليله بكامله وبثينته الحلوة فإنه يخرج عند
الصباح « عن مثل رائحة العنبر » :

وكان التفرق عند الصباح
عن مثل رائحة العنبر

(١) تزيين الاسواق ص : ٦٠

(٢) الاغانى ٧ : ١٣١

(٣) « نفس المصدر السابق والصفحة »

(٤) كذا في الاصل

خليلان لم يقربا ريبه
ولم يستحقا الى منكره

واذا اردنا ان نعتبر هذه الابيات كحقيقة لا تحتل الجدل فان
هناك الكثير غيرها من الشعر الذي لا يترك مجالاً للقارىء في ان
يشك في حب هؤلاء الشعراء حباً انسانياً طبيعياً . بل أذهب الى
ابعد من هذا فأزعم ان هذه الحكايات وهذه الاشعار التي يرويها
الرواة مؤكدين بها عذرية الشعراء تأتي بنتيجة معكوسة لما يريدون .
ألا نستطيع ان نزعم ان هذه القناعة في الحب هي قناعة مصطنعة
فرضتها على الشعراء بئسهم الصجراوية الفقيرة وتقاليدهم الاجتماعية
الصارمة ؟ لقد علق ابو بكر الاصفهاني صاحب كتاب « الزهرة »
المشهور بين التأليف الحبية على أبيات جميل المذكورة بقوله ١ :
« هذه لعمرى قناعة شديدة تدل على ان وراءها ذلة وكيدة ، لأن
من يتهماً له من يواه لا يقنع بأن لا يراه ، وبأن يعدده وعداً الا
يطالبه بوفائه . ولعمرى ان هذه الحال تقر عين المعادي وتسخر
عين الموالي » ولكنه عاد فوجد له عذراً او قل خفف عنه
عبء التهمة .

« الا انه وان كان قد بالغ في القناعة فانه قد التمس التعلل
بالوعد وبتأمين اللقاء على البعد . ومن قنع بترك اللقاء وأقام على حال

(١) الديوان ص : ٣٣

(٢) راجع ابيات جميل : واني لارضى ... الخ

الوفاء كان أنتم أحالا ١»

ثم كيف نفسر عشرات الابيات الشعرية لهؤلاء الشعراء العذريين وكلها تنضح باللذة الجسدية وتشور فيها نفس الشاعر وجسده ؟

وهذه الاوصاف الحسية الكثيرة التي تصف جسد المرأة عضواً عضواً وتصورها امام عينيك لوحة من لوحات الفن الخالدة ...

وهذه التمنيات والتحسرات « للثم الثغور » « وعناق البيض ربات العيون الفتاكة » « وهصر الشدين » « ورشف الريق » « واهتزاز القوام من تحت الثياب كما يهتز غصن البان » ! ...

وهذه المواعيد الكثيرة التي يضر بها العشاق لبعضهم البعض « على خلوة » « عند الائمة » او في بيت الحبيبة حيث تحتبس حبيبها ليالي طويلة فتسكره ويحتلي بها ثم يضطجع الى جنبها اضطجاعاً يصوره الرواة بريئاً وكان من الاسهل والاصح ان يصوروا كل شيء على حاله فيريحون ويستريحون !

واليك بعضاً من هذا الشعر لهؤلاء العذريين وهم يظهرون فيه في مظهر الحبيب الانساني الطبيعي . كقول جميل في لاميته الجميلة :

ألم تعلمي يا عذبة الرقيق أنني
أظلل إذا لم الق وجهك صادياً ؟
لقد خفت ان القى المنية بغتة
وفي النفس حاجات اليك كما هيا ..

وفي مكان آخر :

خليلي عوجا اليوم حتى تسالما
على عذبة الانياب طيبة النشور

فسوف يرى منها صدود ولم تكن
بنفسي من اهل الخيانة والغدر
اعوذ بك اللهم ان تشحط النوى
ربثنة في ادنى حياتي ولا حشري
وجاور اذا مات بيني وبينها
فيا حبذا موتي اذا جاورت قبوري

يقولون مسجور يحزن بذكرها
واقسم ما بي من جنون ولا سحر
لقد شغفت نفسي بشين بذكركم
كما شغف الخمرور يا بثن بالخمير
ذكرت مقامي ليلة البان قابضاً
على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم املك اليها صباية
اهيم وفاض الدمع مني على النحر
فيا ليت شعري هل ابيت ليلة
كليتنا حتى نرى ساطع الفجر ؟

تجود علينا بالحديث وتارة
تجود علينا بالرضاب من الشجر
فيا ليت ربي قد قضى ذاك مرة
فيعلم ربي عند ذلك ما شكري
ولو سألت مني حياتي بذلتها
وحدثت بها ان كان ذلك من امري
مضى لي زمان لو اخير بينه
وبين حياتي خالداً آخر الدهر
لقلت ذروني ساعة وبثينة
على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري
مفجعة الانياب لو ان ريقها
يدأوى به الموتى لقاموا من القبر
اذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها
أبى وأبيها ان يطاوعني شعري
فلا انعمت بعدي ولا عشت بعدها
ودامت لنا الدنيا الى ملتقى الحشر

الصلح

الاولى

X

ولست احب ان اعلق على هذه القصيدة الحلوة الصريحة فهي
تبرهن ان جميلاً رغم عذريته وعفة نفسه ، كان رجلاً يفهم الحب كما
يجب ان يفهم! ان جميلاً وزملاءه العشاق لم ينقطعوا ساعة واحدة عن
التفكير في حبيباتهم بل لم يتورعوا عن زيارتهن وضرب المواعيد لهن

ليلاً في اما كن مختلفة . ولا ادري ما نقصد بالحب العذري عند جميل
وهو لم ينقطع عن زيارة بثينة حتى بعد زواجها ^١ .

و كيف يكون حبه عذرياً وقد احتبسته مرة عندها مدة ثلاث
ليال ^٢ ؟ بل ما معنى العذرية وجميل يسكر ويختلي بحبيبته بعد زواجها؟
اين الحب البريء بعد السكر ؟ بل اين الحب البريء بعد الاضطجاع
جنباً الى جنب ؟ لو كان حبه عذرياً لما استطاعت بثينة ان تعلق
رجلاً آخر غير جميل هو حجة الهلالي ^٣ !

لو كان حبه عذرياً لما كان يغار عليها جميل هذه الغيرة الشديدة
التي حملته ان يطلب من غريمه توبة بن حمير الصراع والنضال والسباق ،
وذلك لأن بثينة كانت تنظر اليه ^٤ حتى روي ان جميلاً لشدة غيrote
وسوء نيته في بثينة كان يقول : « ما رأيت مصعباً ^٥ يحتال بالبلاط
الا عرف على بثينة وهي بالحباب وبينهما مسيرة ثلاث ^٦ .

واذا ضربنا صفحاً عن كل ما قلناه وأردنا تصديق هذه الروايات
المزوقة الجميلة عن عذرية هؤلاء الشعراء فما يكون موقفنا من شعرهم
الطافح بالاوصاف الحسية ؟ اليست هذه الاوصاف صدى لما يجول في
نفوس اصحابها إن كانوا صادقين ؟

كأن فتيت المسك خالط نشرها

تقل به اردافها والمرافق

(٢) الاغاني ٧ : ٨٩

(٤) الاغاني ١٠ : ٨٠

(٦) الزهرة ص : ٨٢

(١) الاغاني ٧ : ٨٦

(٣) الاغاني ٧ : ٩١

(٥) هو مصعب بن الزبير

تقوم اذا قامت به عن فراشها
ويغدو به من حضنها من تعاتق^١
وهل يكون مسّ الجلد ، ورشف الريق ، ولثم الشجر من الامور
العذرية في الحب ؟

حلفت يميناً يا بثينة صادقاً
فان كنت فيها كاذباً فعميت
اذا كان جلد غير جلدك مسني
وباشرني دون الشعار شريت
ولو ان راقى الموت يرقى جنازتي
بمنطقها في الناطقين حيث^٢

وقال :

تذكر منها القلب ما كان ناسياً
ملاحة قول يوم قالت ومعهدا
فان كنت تهوى او تريد لقاءنا
على خلوة فاضرب لنا منك موعدا
فقلت ولم املك سوابق عبدة
أحسن من هذا ... العشيّة موعدا ؟
فقلت اخاف الكاشحين وأتقي
عيوناً من الواشين حولي شهدا^٣

(٢) ذيل الامالي ص : ٦٨

(١) الاغاني ٧ : ٩٤

(٣) الزهرة ص : ٦٣

X
وهذه الخلوة التي تمنيتها بثينة حصلت على مثلها كثيراً من المرات،
هناك عند « الأكمة » وما أدراك ما الأكمة؟ حيث كان يجتمع جميل
ببثينة يحدثها وينشدها الأشعار العذاب وعيون الحساد في عمى « حتى
إذا كان السحر » كان يضع رأسه في حجرها فينام ساعات طوالاً
« حتى يبرق الفجر » ...

يريدونك أن تصدق كل هذا وأكثر من هذا والا تسيء الظن
بهذه الخلوات الشعرية الرومانطيقية والا فأنت لست بعذري .

واخيراً هنا أبيات تروى على أنها لجميل ، تريننا ، ان صححت
نسبتها ، أن حب هذا الشاعر لم يعرف العذرية قط :

ما زلت أبغي الحي أتبع فلتهم
حتى دُفعتُ الى ربيبة هودج
فدنوتُ مخفياً أَلِمُ بِلَيْتِهَا
حتى وُلِجْتُ الى خفي المولج
فتناولت رأسي لتعرف مسه
بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت : وعيش أخي وحرمة والدي
لأنهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتلبست
فعلمت ان يمينها لم تخرج

فَلَشَّمْتُ فَاهَاً آخِذَاً بِقُرُونِهَا
شُرْبَ النَّزِيفِ يَبْرُدُ مَاءُ الْحَشْرِجِ^١

ولا أدري لمَ هذا الاهتمام الشديد في جعل هؤلاء الشعراء غير
ما هم عليه ومحاولة تصويرهم على غير حقيقتهم حتى ظهروا كأنهم من
سكان الصوامع والكهوف أو من دراويش المتصوفة!! والحقيقة أنهم
بشر بل من صميم البشر وإنما تميزوا عن عامة الناس بشعورهم الدقيق
الفياض الذي ظهر لك في ما ذكرناه وسند كره من شعرهم.

أما زيارات المجنون لليلي حتى بعد زواجها فكانت كثيرة
متعددة، لم يتورع الرواة عن ذكرها باسناد، قيل:

إن زوج ليلي وأباها خرجا في امر طرق الحي إلى مكة، فأرسلت
ليلى بأمة لها، إلى المجنون، فدعته فأقام عندها ليلة فأخرجته في
السحر وقالت له سر إليّ في كل ليلة ما دام القوم سفراً. فكان
يختلف إليها حتى قدموا. وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودعته.

تمتع بليلى إنما أنت هامة
من الهام يدنو كل يوم حمامها
تمتع إلى أن يرجع الركب إنهم
متى يرجعوا يحرم عليك كلامها^٢

(١) وفيات الأعيان ١ : ١٦١ والديوان ص : ١٦ راجع تعليقا عليها في
الآغاني ١ : ١٩١ دار الكتب المصرية
(٢) الآغاني ج ٢ : ٧

والغريب أن ليلى لا تجد جواباً لمن يأتي متشفعاً لقيس عندها
سوى قولها: « صبري وصبره أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين! »
وهكذا أجابت عفراء عندما قيل، وقد بلغها ما نزل بعروة فكادت
تبوح بسرّها، أما عندك له حيلة تخفف ما به؟ فقالت: والله لأنّ
أسرّ بذلك وأشوق إليه منه ولكن لا سبيل إلى احتمال العار
ودخول النار^٢.

وقيل لبشينة: هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة تنفسين
بها وجده؟

فقالت ما عندي أكثر من النظر إلى أن ألقاه في الدار الأخرى
أو زيارته وهو ميت تحت الثرى. وقيل لعنبة بعد موت عاشقها:
« ما كان يضرّك لو كنت أمتعتيه^٣ بوجهك؟ قالت منعني من ذلك
خوف العار وشماتة الجار وخافة الجبار. وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه.
غير أني أجد ستره أبقى للمودة وأحمد للعاقبة وأطوع للرب وأخفّ
للذنب^٤.

فانت ترى أن الحاجز بين الحبيبين هو التقاليد الاجتماعية وخوف
الفضيحة أكثر مما هو رادع نفسي داخلي.

والغيرة التي رأيناها شديدة عنيفة في جميل لا نراها عند المجنون
أقل شدة وأخف عنفاً. فهو يغار عليها من زوجها، ولماذا؟ لأنه

(٢) أخبار النساء ص: ٢٥

(٤) روضة المحبين ص: ٣٧١

(١) أخبار النساء ص: ٢٥

(٣) كذا في الأصل

يتجاسر على تقبيل امرأته ...

بربك هل ضمت اليك ليلى
قبيل الصبح او قبّلت فاهها ؟
وهل رفّت عليك قرون ليلى
رفيف الاقحوانة في نداها ؟^١

وعندما يجرؤ الزوج المسكين على أن يجيبه نعم يصرخ المجنون
ويقبض الجمر بكليتي يديه ويسقط مغشياً عليه فيأكل الجمر لحم راحتيه
ويقوم الزوج كئيباً مغموماً !!

وجاء في ديوان المجنون انه التقى مرة وزوج ليلى فتقدم الاخير
من قيس وسأله عليه وأنشد:

ومن عجب جنونك في فتاة
مزوجة سواك ولن تراها
أيا مجنون كم تهوى بليلى
كان الله لم يخلق سواها

فرفع قيس رأسه الى زوج ليلى وأنشد:

أفي كل يوم انت تحظى بقربها
وتلثم فاهها ثم تهصر ثديها ؟^٢

(١) تزيين الاسواق ١ : ٧٦ الاغاني ١ : ١٧٦

(٢) كذا في الاصل

٨
وتضمم أردافاً ثقالاً وقامة
وتنشق من ليلي العشية ريثاًها
وفي كل حين انت بالله لازم
محاسنها مستمتع بحلاها .. ؟

وللمجنون اوصاف حسية في جمال ليلي واعضاءها عضواً عضواً
تشكل ، في عرف انصار العذرية ، جرماً لا يغتفر ضد قيس :

أحنّ الى لثم الشغور الضواحك
واهوى عناق البيض لون السناوك
وأصبو الى ذات الصبا عن صباقي
اذا لم يكن لي في الهوى من مشارك
أرى السمر احلى في فؤادي شمائل
من البيض ربّات العيون الفواتك^١

فأنت تراه حريصاً على السمر اوات الجميلات حرصه على البيض
ربّات العيون الفتّاكة !! ويظهر ان المجنون كان يحب غير ليلي او
هو عرف ، على الاقل ، قيمة المرأة وقدّر لها قبل ان يعلق قلبه بحب
ليلي وفي ذلك يقول :

محبا حبها حب الألى كن قبلها
وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل^٢

(١) ديوان مجنون ليلي ص : ١٤٢

(٢) الاغاني ١ : ١٨٤

وكان اذا لقيه احدُ اصحابه او ابناء عشيرته اخذ يلومه ويعنّفه
على هذا التشهير بليلي فكان قيس لا يهتم ولا يصغي . قال رجل من
بني عامر :

رأيت المجنون عند قفوله عن البيت الحرام فقلت له : ويحك
استشعر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب واعلم أنك لا تصل
الى الحبيب الا بالستر ونفيك الشنعة، فان التهمتك يقطع مواد الغبطة .
وليس للهتوك إلفة . والمستور طويل مدّة الغبطة . فكان جوابه :

ان الغواني قتلت عشاقها
يا ليت من جهل الصباية ذاقها
في صدغهن عقارب يلسعننا
ما من لسعن بواجد ترياقتها
ان الشفاء عناق كل خريدة
كالخيزرانة لا تمل عناقها
بيض تشبه بالحقاق ثديها
من عاجة حكّت الثدي حقاقتها
يدمي الحرير جلودهن وانما
يكسين من حلل الحرير رقاقها
زانت روادفها دقاق خصورها
إني أحب من الخصور دقاقها !
إن التي طرق الرجال خيالها
ما كنت زائرها ولا طرّاقتها

(١) الديوان ص : ١٣٨-١٣٩

X
فهل بعد هذه الاوصاف من شك في ان قائل هذا الشعر انسان ؟
وانه ليس من طغيات السرافيم او الكرايم وان منزله الذي كان
يسكنه لم يكن السماء ولا المريخ بل كان نجداً بما فيه من آكام
رمليّة ووهاد صحراوية ونخيل وغدران وروابٍ ومنخفضات ،
وطبيعة هادئة ساحرة تطمئن اليها نفوس العشاق فتحملهم على
الاسترسال في حبهم حيث تطيب للنفس مناجاة حبيبها وتأنس
الى أليفها !

ونظم المجنون الكثير من مثل هذا الشعر الصريح الذي ترسله
النفس طبيعياً في ساعة خاصة من حياة الشاعر لا تمرّ به دائماً هي
ساعة يغمض عينيه عن اشباح هذا العالم ليتطلع الى اعماق نفسه ويرى
فيها نفس حبيبه فيتناجيان بألحان عذبة على القلوب الواعية الكبيرة
ولكنها تחדش بما فيها من جرأة وصراحة وحب وجمال ، آذان من
يدعون المحافظة على العفة والطهارة والعذريّة !

ان قيساً في قوله :

اذا نظرت نحوي تكلم طرفها
فجاوبها طرفي ، ونحن سكوت
ولو خلط السم المذاب بريقها
واسقيت منه نهلةً ، لبريت

يبدو لي انساناً صحيحاً اقرب الى الكمال الانساني ، منه عندما
يصوّره الرواة مجنوناً تائهاً في البراري والحقول ، يأكل العشب

ويعنى مع البهائم !

كذلك هو يبدو محباً طبيعياً عندما تقرأ له مثل هذا الشعر :

ومفروشة الخدين ورداً مخرجاً
إذا همشته العين عاد بنفسجاً
شكوت اليها طول ليلى بعبرة
فأبدت لنا بالغنج دراً مفلجاً
فقلت لها منى عليّ بقبلة
أداوي بها قلبي فقلت تغنجاً
بليتُ بردف لست أستطيع حمله
يجاذبُ أعضائي إذا ما ترجرجاً

ولكن الرواة لا يرضيهم ان يروا إقراراً صريحاً في مثل هذا الشعر فرووه ، مدّعين ان الشاعر ، إننا نظمه ليغيبظ زوج ليلي :

فان كان فيكم بعلٌ ليلى فاني
وذي العرش قد قبلتُ فاها ثمانيا
وأشهد عند الله أني رأيتها
وعشرون ، منها ، اصبعاً من ورائها

ولكن هؤلاء الرواة ، لله درهم ! ألم يبرئوا عمر ابن أبي ربيعة
من الفسق والفجور فيحملوه على التوبة والتنسك في آخر حياته ؟

روى الأصمعي قال :

بصرت الثريا بعمر ابن أبي ربيعة وهو يطوف حول البيت

فتشكرت وفي كفها خلوق فزحمته فأثر الخلق في ثوبه ، فجعل الناس
يقولون : يا ابا الخطاب ما هذا زي المحرم . فأنشأ يقول :

ادخل الله رب موسى وعيسى
جنة الخلد ، من ملاني خلوقا
مسحت كفها بجيب قيصي
حين طفنا بالبيت ، مسحاً رقيقاً

فقال له عبد الله بن عمر : مثل هذا القول في هذا الموضع ؟ فقال :
« يا ابا عبد الرحمن قد سمعت مني ما سمعت . فو رب هذه البنية ما
حلت إزارى على حرام قط ^١ » فما هو الحرام بعرفه يا ترى !
كذلك ادعى الزبير بن بكار قال : لم يذهب على احد من الرواة
أن عمر كان عفيفاً ، يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد ^٢ .
وهذا الذي يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد هو صاحب المجازفات
الحبيبة العظيمة والوقائع النادرة التي تملأ اخبارها كتب الادب والتي
كانت السبب في تلقينه عن جدارة واستحقاق بلقب « الفاسق »
فكيف يمكننا ان نصدق هؤلاء الرواة وان نعتمد اعتماداً
كلياً ، خاصة المتحرجين منهم الذين يهمهم ان يتوب جميع الشعراء !
وما ذكرناه لجمل والمجنون من الشعر التهتكبي يمكن ذكر مثله
لقيس بن ذريح وعروة بن عفرأ ، خاصة وان هذين الأخيرين قد

(١) روضة المحبين ص : ٣٦٦ - ٣٦٧

(٢) الاغانى ١ : ٥٣

تزوجا وعرفا عن المرأة ما لم يستطع الاثنان الاولا لان معرفته . قال
ابن ذريح :

يا اكمل الناس من قرن الى قدم
واحسن الناس ذا ثوب وعريانا !
نعم الضجيع ، بعيد النوم تجلبه
اليك ممتلئاً نوماً ويقظانا !

وقال :

أتبكي على لبني وانت تركتها
وانت عليها بالملا انت أقدر ؟
فان تكن الدنيا بلبني تقلبت
علي فللدنيا بطون واظهر
لقد كانت فيها للامانة موضع
وللكف مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان ري بريقتها
وللمرح الخيال خمر ومسكر
كأنني لها ارجوحة بين أحبل
اذا ذكرة منها على القلب تخطر

واصطلح الباحثون في العشق والعشاق واحوالهم على أن قياساً
هو رأس اهل الهوى لأنه عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمي بغصة
البعد والفراق . وذلك عند العقلاء ابلغ واعظم وارفع في مقاسة
الغرام وافخم . وفيه تلميح بما ذكر في التفضيل بين البشر

والملائكة^١ . فرئاسة اهل الهوى شيء استحقه قيس لأنه عرف لذة
الوصل ثم رمي بغصة البعد .

والذي يبدو للباحث أن هذا الشرط (معرفة لذة الوصل) اساسي^٢
في الحب وفي رئاسة اهل الهوى . وقد صرح به اكثر علماء العرب
وادبائهم من اقدمين ومحدثين . فقد جاء في روضة المحبين « فاللذة التي
لا يعادها شيء لا تكمل حتى يأخذ كل عضو من البدن بقسطه من
اللذة فتلتذّ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه ، والأنف
بشم رائحته ، والفم بتقبيله ، واليدّ بلمسه ... وتعتكف كل جارية
على ما تطلبه من لذتها وتقابله من المحبوب . فان فقد من ذلك شيء
لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له ، فلا تسكن كل السكون .
ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس اليها^٣ . قال الله تعالى :
« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها^٤ » .

كذلك رأى العرب ان المسألة طبيّة... « اتفق رأي العقلاء من
الاطباء وغيرهم في مواضع الادوية ان شفاء هذا الداء (داء المحبين)
في التقاء الروحين والتصاق البدنين^٥ لذلك نرى ان ابن قيم الجوزية ،
وهو من اعمق علماء العرب في دراسة الحب وتحليله ، يستشهد باحاديث

(١) تزيين الاسواق ١ : ٦٢

(٢) روضة المحبين ص : ٢٣٣

(٣) سورة الروم الآية ٢١

(٤) روضة المحبين ص : ٢٢٨

النبي الكريم التي تجبّد الزواج وتحثّ عليه مثل الحديث : « لم ير
للمتحابين مثل النكاح ^١ » ويقول ابن الجوزية : « كان النبي يختار
النكاح ويحثّ عليه ، ونهى عن التبتّل ، فمن رغب عن سنّة النبي صلى
الله عليه وسلم فهو على غير الحق ^٢ .

وإذا عدنا ندرس بعض علماء الاجتماع والمفكرين الغربيين
الحديثين نجد ان قسماً كبيراً منهم يدّعي بان اساس الحب هو الشهوة
الجسدية وانه ليس هناك فاصل يميز هذه الشهوة عن الحب .

« والغريب ان كل عاشق حاول ان يخلق الحب خلقاً جديداً
ويبدعه إبداعاً مستقلاً يتفق مع ميوله واهوائه . ومع ذلك فقد ظل
الحب هو هو لا يتغير ، ظلّ غريزة جنسية تجعلها أفانين الخيال وتلطّفها
وتخفف من حدتها وتحمل الانسان على تناسيها او نسيانها ^٣ .. »
وخصّ الفيلسوف شوبنهاور الحب الجسدي ببحث مستفيض
قال فيه :

« إن الشعراء في كل زمان ومكان ، تغنوا بهذا الحب الجسدي
في اشعارهم واقبلت الشعوب في كل العصور على هذا الشعر . وهذا
برهان ساطع على ان هذا الحب هو حق وإلا لما اقبلت عليه الشعوب
على اختلاف انواعها ^٤ »

(١) نفس المصدر السابق

(٢) روضة المحبين ص : ٢٣٠

(٣) مدام دي تنير تاريخ الحب ص : ٥

(٤) Schopenhauer - Selections ص : ٣٣٣

ثم يقول في مكان آخر: « ان العنصر المهم في الحب ليس في الحب المتبادل بل في امتلاك الحبيب بل في اللذة الجسدية ^١ .

وهذا القول صريح لا يقبل الشرح والتأويل وهو قول جري رغم مناقضته ما جاء عن افلاطون في كتابه المائدة . وقام في اوربا انصار كثيرون لشوبنهاور يدينون بنظريته هذه ، منهم الاطباء والعلماء والروائيون امثال فكتور مرغريت الفرنسي في كتابه « الغلام » ، ومثل د. ه. لورنس الانكليزي في روايته « عشيق اللادي ساترلي » ، وماري ستوبس في كتابها « الحب والزواج » .

ولسنا في معرض تشريح هذه النظريات وإن كانت جديدة بالدرس والتشريح خوفاً من الأطالة والخروج عن هدفنا الاساسي . ولكن لا بد من القول إن الحب الجسدي الذي يخافه جماعة العذريين هو عنصر مهم في حياة الحبيين وإنه ضروري وإن لم يكن هو الغاية الاساسية من الحب ... نقول ذلك ونلح بصورة خاصة على الشطر الأخير منه وهو: أن غاية الحب ليست مطلقاً في الحب الجسدي .



وليعلم شباب بلادي الذي يحصر الحب في نظرة من عينيه ، او لمسة من يديه ، او خفقة من فؤاده ، أن الشاب مهما تبذل وانحط في حبه ، ومهما عبث بالنساء وأراق على مذبح فجوره وآثامه دم فؤاده

(١) نفس المصدر السابق ص : ٣٣٨

وعصارة شبابه ، فلن يجد السعادة الصحيحة القصوى والحياة الهادئة
الرحبة إلا في حب امرأة واحدة حباً روحانياً صادقاً كاملاً ...

وللشباب العربي الطالع ، ومن قلبه الذبيح المحموم ، قطع مدّمة ،
على كل درب وفي كل زاوية ، لهذا الشباب التائه في دروب الحب
والجمال ، قدوة ومثال في هؤلاء الشعراء العذريين . فهم شعراؤنا
وقد نبضت قلوبهم كما تنبض قلوب الانسانية الحساسة فعاشوا انسانيين
في حبهم فلم ينحطوا ولم يتبدّلوا فيتحوّل حبهم الى شهوة ملحة غاصبة
بل ارتفعت بهم شهواتهم الجسدية فأصبحت حباً انسانياً شريفاً كاملاً !

المصادر حسب ترتيبها التاريخي

- أفلاطون ، مائدة افلاطون ، كلام في الحب . نقل محمد لطفي جمعه . مصر
مطبعة التأليف .
- عروة بن حزام ، ديوان عروة بن حزام واخباره . مخطوطة في حوزة
الاستاذ جبرائيل جبور كتبت سنة ١٣٢٠ هـ .
- مجنون ليلى ، شرح ديوان مجنون ليلى لمحمود كامل فريد . مصر مطبعة
مصطفى محمد .
- جميل بثينة (٨٢ هـ) ديوان جميل بثينة جمع بشير يموت . بيروت المطبعة
الوطنية سنة ١٣٥٢ هـ .
- ابن ابي ربيعة (٩٣ هـ) ديوان عمر ابن ابي ربيعة نشر Paul Shwarz
ليبسك سنة ١٣١٨ هـ .
- ابن سلاّم (٢٣١ هـ) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي . ليدن
سنة ١٩١٣ هـ .
- الجاحظ (٢٥٥ هـ) مجموعة رسائل لابي عثمان عمر الجاحظ .
- ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) الشعر والشعراء لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
مطبعة الفتوح مصر سنة ١٣٣٢ هـ .
- ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) عيون الاخبار - دار الكتب . مصر سنة ١٣٤٩ هـ .
- المبرد (٢٨٥ هـ) الكامل لابي العباس محمد بن يزيد الأزدي . ليبزك
سنة ١٨٧٤ م .

- الاصفهاني (٣٥٦ هـ) الاغاني لاني الفرج علي بن الحسين . مصر ، بولاق
سنة ١٢٨٥ هـ .
- القالبي (٣٥٦ هـ) الامالي لاني علي اسماعيل بن القاسم القالي . مصر ، بولاق
سنة ١٣٦٨ هـ .
- السراج (٣٧٨ هـ) اللمع في التصوف لاني نصر عبد الله بن علي السراج
الطوسي . ليدن سنة ١٩١٤ م .
- المرزباني (٣٨٤ هـ) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء لمحمد ابي عبيد الله
المرزباني . مصر المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ هـ .
- ابن النديم (٣٨٥ هـ) الفهرست لمحمد بن اسحاق الورثاق المعروف بابن
النديم . مصر المطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٨ هـ .
- الحصري (٤٥٣ هـ) زهر الآداب وثمر الالباب لاني اسحاق الحصري
القيرواني . نشر زكي مبارك . مصطفى محمد .
- السراج (٥٠٠ هـ) مصارع العشاق للشيخ ابي محمد جعفر بن احمد بن الحسين
السراج . القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ .
- الاصبهاني (٥٠٢ هـ) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لاني القاسم
حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني . مصر المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٦ هـ .
- الشريشي (٥١٩ هـ) شرح المقامات الحريية لابي العباس احمد بن عبد المؤمن
الشريشي ، مصر بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .
- ياقوت الرومي (٦٢٦ هـ) ارشاد الاريب الى معرفة الاديب او معجم الأدباء
لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي . اعتنى بتصحيحه الاستاذ
مرغليوت ، مصر مطبعة هندية سنة ١٩٢٥ م .
- ابن خلكان (٦٨١ هـ) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان للقاضي احمد
ابن محمد بن خلكان ، مصر بولاق سنة ١٢٧٥ هـ .
- ابن ابي حجلة (٧٢٥ هـ) ديوان الصبابة لاحمد ابن ابي حجلة المغربي
على هامش تزيين الأسواق ، بولاق سنة ١٢٩١ هـ .
- النويري (٧٣٣ هـ) نهاية الارب في فنون الادب لاحمد بن عبد الوهاب
النويري . دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢ هـ .

ابن قيم الجوزية (٥١٧هـ) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لأبي عبد الله محمد ابن
 ابي بكر ابن قيم الجوزية . دمشق ، مطبعة الترقى سنة ١٣٤٩هـ .
 ابن القيم الجوزية (٥١٧هـ) اخبار النساء . مصر سنة ١٣٠٧هـ مطبعة التقدم .
 الابشيبي (٨٥٠هـ) المستطرف في كل فن مستظرف لأحمد الابشيبي
 مصر بولاق سنة ١٢٩٢هـ .
 الاصفهاني (٩٠٩هـ) الزهرة ، تأليف ابي بكر محمد بن ابي سليمان الاصفهاني
 نشر نيكل . بيروت مطبعة اليسوعيين سنة ١٩٣٢ م .
 الانطاكي (١٠٠٨هـ) تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لداود
 الانطاكي . مصر بولاق سنة ١٢٩١هـ .
 البغدادي (١٠٩٣هـ) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر
 بن عمر البغدادي بولاق سنة ١٢٩٩هـ .
 طه حسين : حديث الاربعاء . مصر مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٤هـ .
 محمود البشبيشي : الفرق الاسلامية . مصر المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٠هـ .
 جبرائيل جبور : عمر ابن ابي ربيعة . بيروت المطبعة الأميركانية .
 مارسيل تثير : تاريخ الحب ترجمة ابراهيم المصري . دار الهلال سنة ١٩٣٧م .
 عبدالله غانم : كتاب الاجيال . مطبعة العرائس بكفيا .
 عبد اللطيف الطياوي : التصوف الاسلامي العربي . مصر دار العصور
 سنة ١٩٢٨ م .

1 — B. Jowett. The Dialogues of plato 1889

2 — De witt H. Parker. Schopenhauer-selections 1928

3 — Larousse du XX siècle par P. Augé

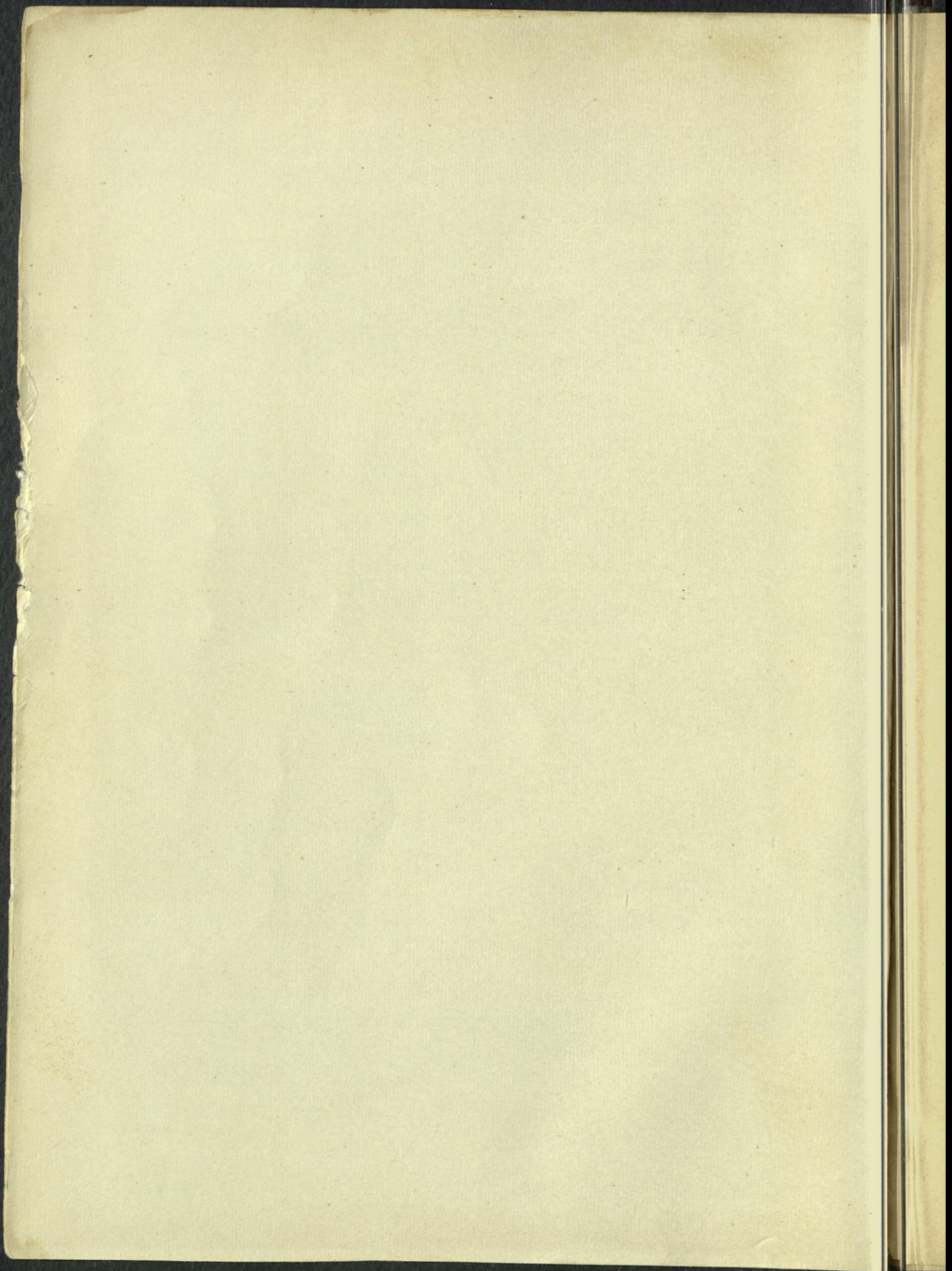
ملحوظة : هذا الكتاب لا يزوم تأليفه لأنه لا يوجد "عزري" لأن
 لأن العاشق والمصنوع يعطيان فؤنا" مع مما يترتب
 في حرفها الأداس العاشق أي يعطيان مجبرين لذلك يشتفي
 (لطار) العزري ، وضماني هذه الحالة أي حالة "المصنوع" ، يشتمل
 كل واحد منهم الآخر ، ولكننا نقفان مكتوفي اليدين أمام هذا
 العزري في هذه الحالة ، أما السواء العزري الحقيقي فإنه
 يجوز بين الزم وابلز أريين الذي دأبته لأنه لا يوجد انجيد
 ١٢٧

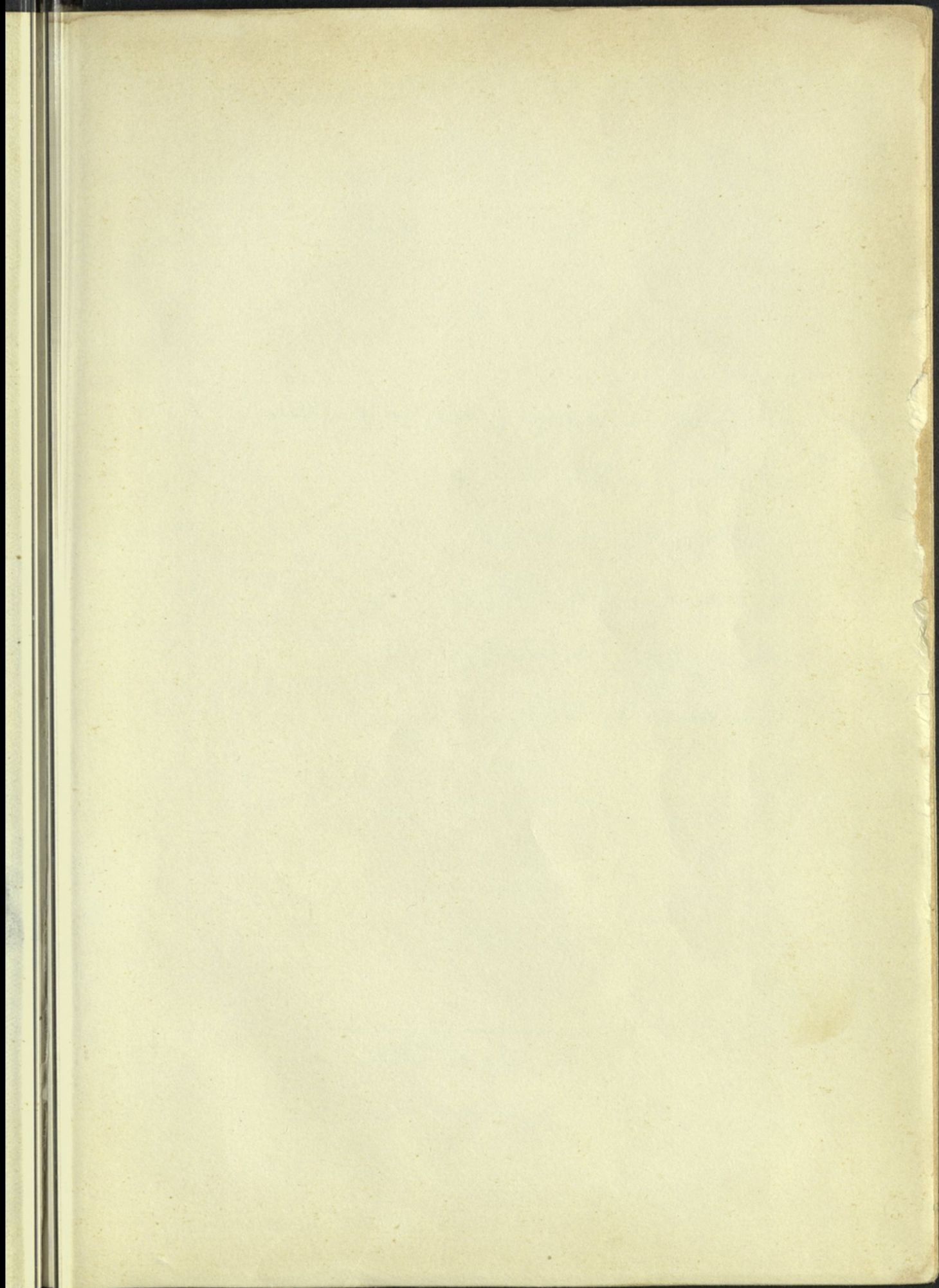
الزوم كـ

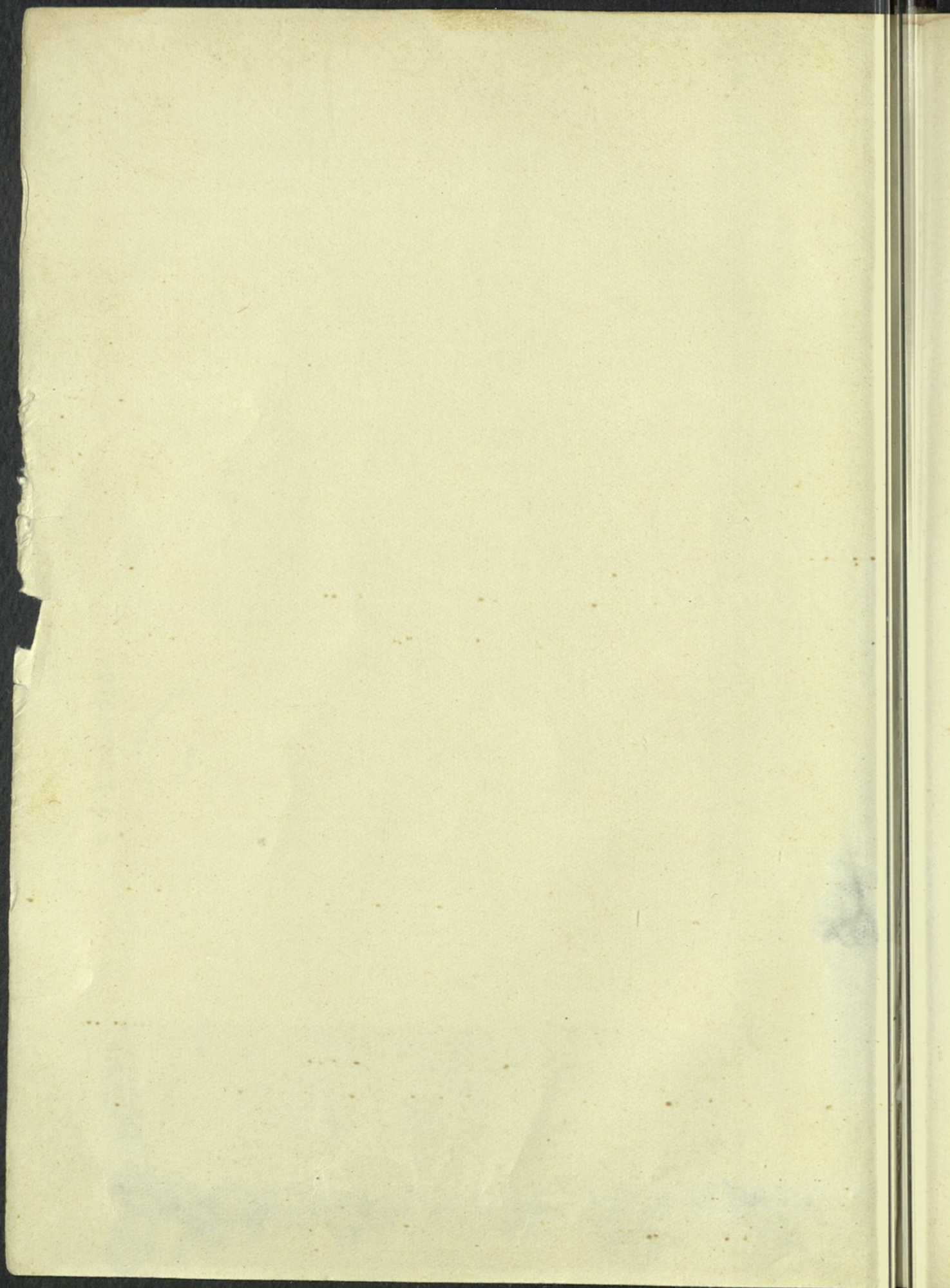
فهرست الموضوعات

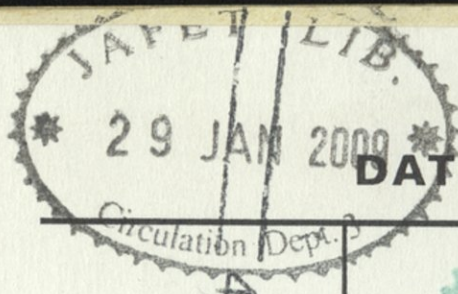
٩	دنيا الاساطير — لمحة تاريخية في العشق عند الامم القديمة
١٧	عصارة السحر — العشق عند العرب
٣٩	سراب الصحراء — الحب العذري
٤٩	عالم الآلهة — الحب الافلاطوني
٦٤	المجانين العباقرة — الشعراء العذريون
١٢٥	المأخذ حسب ترتيبها التاريخي

انتهى طبع هذا الكتاب
على مطابع عز الدين

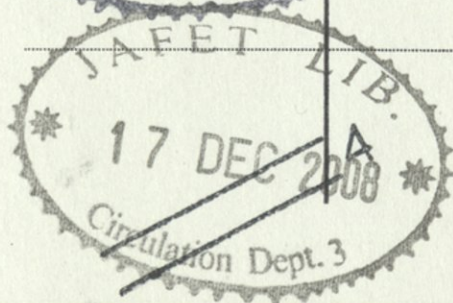
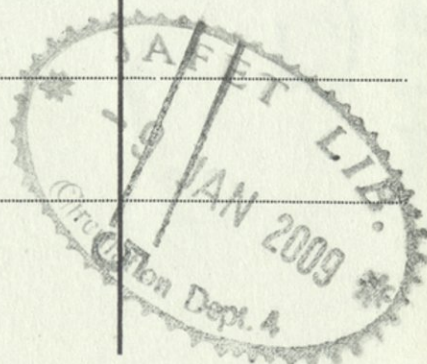
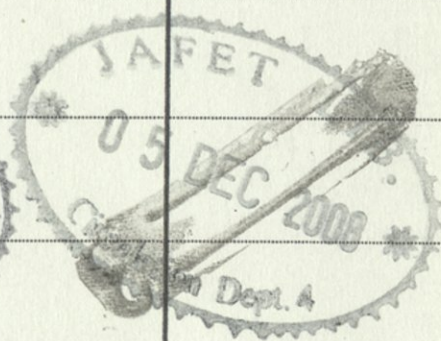
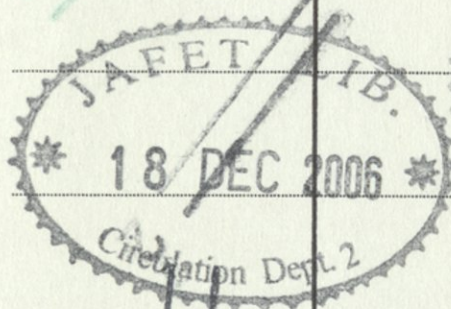








DATE DUE



177.6:Su94h2A:c.1

سليمان، موسى

الحب العذري

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002074

177.6
Su94h2A
C.I